



سياسة الحزب الشيوعي



سِاطِرُ الْحَصْبِ الْمُنِيرِ

الدكتور محمد راجوادی

سیاظیر الحیاة الیسیئر





الطبعة الأولى

1442 - 2020

ISBN 978-625-7682-09-1



إهداء

إلى الصديق الكريم
المهندس محمد إسحق حمدي
تحية لكل الذكريات النبيلة

هذا الكتاب

يتأمل هذا الكتاب حضارة السلطة من خلال سيرة حياة أربع عشرة شخصية من الشخصيات السياسية في الحقبة الليبرالية (١٩١٩ - ١٩٥٢) من الذين تولوا المسؤوليات الكبيرة في هذه الحقبة وتميز أداؤهم في هذه المواقع المسؤولة بالتوجه الحضاري المستهدف للارتقاء بأداء السلطة والحكومة من أجل خدمة الأمة والشعب، وذلك على الرغم من اختلاف نزعاتهم الفكرية والحزبية، واختلاف منابعهم العائلية والإقليمية، واختلاف ثقافتهم وتعليمهم وخبراتهم المهنية، لكن الحرص على الارتقاء الحضاري كان بمثابة عامل مشترك أو قاسم مشترك بينهم جميعاً، وقد اخترناهم على هذا الأساس من بين مائتين من شخصيات تلك الحقبة التي تناولناها بالدراسة والتقييم في فصول منشورة ، وتراجم متباينة ، ومداخل موسوعية ، ودراسات مكتوبة، ومدارس للمذكرات ، و مناقشات للروايات، ونحن لا نملك إلا أن ندعو الله سبحانه وتعالى أن يهيئ لجهودنا الفرصة كي ترى النور عن قريب إن شاء الله فيراها جمهورنا في كتب متكاملة بفضل الله ومنه وكرمه .

نبدأ هذا الكتاب بحديث عن رموز كبرى في تلك المرحلة فنتحدث عن أبرز علماء الإسلام المحدثين تأثيراً في السياسة والتشريع وهو الشيخ محمد مصطفى المراغي ١٨٨١-١٩٤٥ الذي كان بمثابة الشخصية النخبوية الأولى في وسط جماعات نخبوية متصدرة لم يصل أي من عناصرها إلى ما وصل إليه هو من قدرة على التأثير، والإقناع، والتغيير، والتطوير بل واتخاذ القرار والقبض على زمام المبادرة. و نتناول إبراهيم عبد الهادي (١٨٩٨ - ١٩٨١) الذي أصبح مع الزمن أبرز شباب ثورة ١٩١٩ مكانة إذ أصبح رئيساً للوزراء في ١٩٤٨ بعد أقل من ثلاثين عاماً من قيام الثورة التي شارك فيها وهو طالب وشاب صغير حتى انه تعطل في التخرج في كلية الحقوق، ثم مارس السياسة بالموازاة لعمله القانوني كمحام بارز حتى أصبح وزيراً في ١٩٣٩ ورئيساً للديوان الملكي في ١٩٤٧ ورئيساً للوزراء في آخر ١٩٤٨. ونتحدث عن عبد الرحمن عزام (١٨٩٣ - ١٩٧٦) الأب الأول للجامعة العربية بكل ما يمثله تاريخه من الكفاح في الأناضول وليبيا ومصر ثم في تأسيس الجامعة العربية والتصدي لقضية فلسطين ثم في عمله الاستشاري للنظام السعودي. ثم نتناول نموذجاً نادراً للزعامة التي جمعت الاشتراك في الحروب والكفاح المسلح والعمل الفدائي

والعمل السياسي والعمل المدني، وهو محمد صالح حرب ١٨٨٩-١٩٦٧ الذي يمثل النظير المبكر للرئيس السادات في حقبة الليبرالية..

ونتحدث في الباب الثاني عن بعض الرموز الوفدية التي كان لها دورها المحوري في السياسة العامة والحزبية والقانونية، فنحدث عن فؤاد سراج الدين باشا (١٩١٠ - ٢٠٠٠) الزعيم الوفدي الذي اتصلت على يديه حلقات الليبرالية في مصر، وأعاد إحياء السياسة والحياة الحزبية في عهد الرئيس حسني مبارك بعد أن رفض الرئيس أنور السادات القبول بمبدأ عودة الوفد بما كان يمثله لضباط ١٩٥٢ من شبح قاس لم تستطع حكومات ثورة ١٩٥٢ أن تتخلص من الخوف منه، ونستعرض بعض الملامح العامة في شخصيته باختصار شديد و من دون إفاضة فيما يستحقه الرجل من دراسات موسعة لدوره، وفكره وتوجهاته .

ثم نتحدث عن علي زكي العرابي باشا (١٨٨٢ - ١٩٥٦) رئيس مجلس الشيوخ الوفدي ووجهات نظره في الحياة التشريعية، وعن نقيب المحامين الأشهر وسكرتير الوفد محمد صبري أبو علم باشا (١٨٩٣ - ١٩٤٧) ودوره في استقلال القضاء ، كما نتحدث عن عبد الفتاح حسن باشا رجل القضاء الذكي الذي تحول إلى رجل دولة أكثر ذكاء وعطاء وقدم لوطنه كثيراً من العمل الجاد.

وفي الباب الثالث نتحدث عن مجموعة من الرجال المتحضرين والمحضرين الذين ارتبطت أسماؤهم بالملك والملكية فنحدث عن علاقة وكيل الديوان الملكي حسن يوسف باشا بالملك فاروق وكيف كانت هذه العلاقة بمثابة مزيج من صمام الأمان وكفاءة الأداء ونتحدث أيضا عن عبد الفتاح عمرو (١٩٠٩ - ١٩٨٨) السفير المصري في لندن بكل ما كان يمثله من سبق رياضي وبطولة واحترام وقدرة على التأثير في العلاقات المصرية البريطانية.

وفي الباب الرابع نتحدث عن بعض جوانب من حياة نجوم الأحرار الدستوريين والمستقلين فنلقي بعض الضوء السريع على دور إبراهيم الدسوقي أباطة باشا وإبراهيم فهمي كريم باشا وأحمد خشبة باشا وعبد السلام الشاذلي باشا ، وعن علاقة الوزير أباطة بالشعراء والأدباء وعلاقة أحمد خشبة بالتصديق الوزاري لأولى وزارات النحاس باشا وعلاقة إبراهيم فهمي كريم باتفاقية مياه النيل وعلاقة عبد السلام الشاذلي ببعثة تكريم الشيخ محمد عبده.

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفذ به ، وأدعوه جل جلاله أن يوفقني إلي تقديم ما تبقى من أعمالي ، وقد طال العهد بتجاربها الطبيعية في ظل غربتي ومرضي و تشردي و استيحاشي ، والوقت لا يسعني، والجهد يتضاءل، والذكاء يخبو ، و الألمعية تنطفئ ، والقلب يئن ، والنظر يكل ، والعقل ينشئت ، والذاكرة تتبدد ، و السهل يتعقد ، والنفس يتقطع ، والأمل يتضعف، والعمر قصير، والواجب كبير ، والمؤجل كثير ، لكن رجائي يتضاعف في فضل الله جل جلاله وكرمه .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، و شرور العجز و الكسل و الوهن ، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدني برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي وحدسي و ذائقتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغنى، والبر والتقى، والفضل والهدى، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل ، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وإخلاص المؤمنين ، وعطاء المحسنين ، وشك الأطباء، وتثبيت العلماء ، وخيال المبدعين ، وتساولات الباحثين .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي ، بالطبع ، وبالتأكيد : كثيرة ، ومتواترة ، ومنتامية، فله سبحانه وتعالى - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل

د . محمد الجوادي

الباب الأول : رجال الدولة

الفصل الأول : الشيخ محمد مصطفى المراغي

أبرز السياسيين النخبويين

إذا كان الشيخ محمد مصطفى المراغي ١٨٨١-١٩٤٥ هو أكثر علماء الأزهر تأثيراً في الأزهر في القرن العشرين فإنه في الوقت نفسه واحد من أكثر رجال الدولة تأثيراً في السياسة المصرية في القرن العشرين، فإليه في المقام الأول يرجع الفضل في صياغة و إقرار مبدأ حياد مصر في الحرب العالمية الثانية وعدم دخولها هذه الحرب. صحيح أن هذا المبدأ كان حصيلة لاختلاف رؤيتين متناقضتين نادى بهما قامات سياسية رفيعة، وبذلت كل منهما جهودها في تقضيل رؤيتها بالوقوف مع الحلفاء أو الوقوف مع المحور وضد الحلفاء إلا أن الشيخ المراغي بعقليته الواعية وقدرته الفقهية والقانونية وصياغته الواضحة لأفكاره كان صاحب المقولة الشهيرة التي حسمت الموقف لصالح الحياد وهي أن هذه حرب لا ناقة فيها ولا جمل. وبهذا أصبح صعباً على من يريدون الوصول في الحرب مع بريطانيا تطبيقاً لمعاهدة ١٩٣٦ أن يقنعوا أحدا بهذا بل أصبح من الصعب عليهم أن يواصلوا الاقتناع، كما أصبح من المستحيل بالتالي أن تنتصر الفكرة الداعية إلي تأييد الألمان والطلليان تحت دعوى أن عدو عدوى هو صديقي وأن وضع مصر عند انتصار الألمان أو المحور يمكن أن يكون أفضل منه عن وضعها عند انتصار البريطانيين.

نحترم رأيه السياسي ونخالفه في جزئية

أسارع فأقول إنني مع احترامي لمنطق الشيخ محمد مصطفى المراغي وللمنطق الذي أخذت به مصر في هذه الحرب فإنني أري أن عدم دخول هذه الحرب كان هو الذي قضى على مستوى متقدم من فرص المستقبل المهني والتدريب الميداني للجيش المصري والقوات المسلحة المصرية فلم يتح لها في تلك الحرب أهم فرصة للتدريب الحى والممارسة الحية في ميدان الحروب ومن ثم كانت قلة الخبرة والممارسة هي السمة الغالبة على هذه القوات في كل الحروب التالية.

ولو أن طائفة من ضباط قواتنا المسلحة نفروا وشاركوا في هذه الحرب من خلال صفوف الحلفاء أو البريطانيين لأحرز جيشنا خبرات عالية بالتنظيم والتدريب والتخطيط والتأهيل إضافة إلى خبرات القتال، و أذهب في قولي هذا إلى حدود بعيدة من الاقتناع النظري مستهديا بالنجاح الذي حققته إسرائيل التي لم تكن قد وجدت بعد من خلال مشاركتها في هذه الحرب بما سمي الفيلق اليهودي وهو الفيلق الذي كان نواة إنشاء الكيان الصهيوني الذي سمي بدولة إسرائيل.

أعود بسرعة إلى الشيخ المراغي الذي استطاع حسم هذا التوجه المهم فأنقذ مصر من مغبة أو عواقب دخول هذه الحرب ماديا ومعنويا ، وكأنه كان واعياً لما تجاهلته الأدبيات السياسية التاريخية المصرية من أن الجيش المصري للأسف الشديد كان هو الذي حارب من أجل سلب القدس من دين المسلمين لمصلحة البريطانيين متحملاً بهذا الوزر عباء أكبر خيانة للإسلام والعروبة ، وإن كان الخجل قد دفع المؤرخين جميعاً ولا يزال يدفعهم إلى أن يتجاوزوا هذه الحقيقة المرة التي كانت قابلة للتكرار لولا الانتباه الذكي الذي فتح الله به على الشيخ محمد مصطفى المراغي.

النحاس باشا رشحه للمنصب مع أنه لم يكن وفدياً

لم يكن الشيخ المراغي وفدياً وإن كان الزعيم مصطفى النحاس باشا هو أول من رشحه لهذا المنصب، ولم يكن اختيار الشيخ محمد مصطفى المراغي البعد عن الوفد اختياراً خاطئاً تماماً وإنما كان خاطئاً في عنصر واحد فقط ، ذلك أن الشيخ محمد مصطفى المراغي بالرغم من تفضيله للعب مع عناصر الفريق المتحد أو المؤتلف ضد الوفد لم يذهب في ممارساته السياسية لأكثر من حدود الاختلاف الديمقراطي والعملياتي ولم يتدحرج في خصومة جوهرية للحركة الوطنية ولا للأغلبية، لكنه كان بحكم علاقاته أهل الوجه القبلي أقرب إلى عائلات محمد محمود وخشبة ومحفوظ ووالى . وفى هذا الإطار نذكر أن جعفر والى باشا نفسه تزوج ابنة الشيخ المراغي ، كما أن الأبن الأكبر للشيخ المراغي وهو أحمد مرتضى المراغي وزير الداخلية فيما بعد قد عمل في مطلع حياته وبمجرد تخرجه سكرتيراً لرئيس الوزراء محمد محمود باشا وهكذا.

قدراته الشخصية بعيدا عن المنصب

لو لم يكن الشيخ محمد مصطفى المراغي قد أصبح شيئا للأزهر لكان تأثيره في الحياة العامة قد ناطح تأثير شيخ الأزهر، فقد كانت مقومات زعامته زاعقة صارمة صارخة عفوية قوية، وكان أدائه من أجل هذه الزعامة دؤوبا متصلا مؤثرا ، وكان قادرا على تطوير نفسه وتدريبها وتأهيلها كما كان قادرا على أن يصنع لنفسه طابعها الخاص في الملبس والزي والحضور والقول والحكم على الأمور.

وكان له حضور اجتماعي طاغ ، كان يعرف الناس جميعا ويعرفه الناس جميعا، وكان يجامل ويباغض ، وكان يحسم ويصانع وكان يتصل ويفصل، وكان رأيه واضحا دون لبس، وكانت إنحيازاته وتوجهاته ساطعة لا تنشى بالغموض ولا تعتمد عليه.

النموذج المضى لفضل الإسلام على السياسة والتشريع

كانت للشيخ محمد مصطفى المراغي بصمات بارزة في التشريع المصري وإذا قيل إن فردا واحدا من رجال القانون بمعناه الواسع أستطاع أن يطور التشريع المصري في القرن العشرين فإنه هو المراغي، وليس السنهوري أو غيره من أساتذة القانون الذين نقلوا النصوص الفرنسية الجاهزة فعدلوها أو أقلموها، أما الشيخ محمد مصطفى المراغي فإنه ، من خلال الدراسة الواعية له ولزملائه وفريق عمله ، أستطاع أن يستمد من الفقه الإسلامي ومن مذاهبه المتعددة ما غاير به التشريعات التي كانت قائمة في مجال الأسرة وفي مجال المواريث وقد أتم هذا في مصر بعد ثورة ١٩١٩ بما لم يتجاوز العشر من السنوات.

امتداد فضله في التشريع

لم تقف إسهامات الشيخ محمد مصطفى المراغي في الإصلاح التشريعي عند قوانين الحدود المرتبطة بالفقه الإسلامي لكن الشيخ بحضوره الطاغي وبرأيه الواضح وبقدرته على حل المشكلات التشريعية وانتقاد عيوب التوجهات الاجتماعية ورسم الخطط الإصلاحية كان حاضرا في كل القوانين المدنية التي ظهرت في الفترة

التي شهدت لمعانه المتوهج بما فى ذلك قوانين الجنسية والتجنس، والتعليم، والتوظيف، و الاقتصاد، والائتمان الزراعي وحفظ حقوق الملكية.

إفادة المسيحيين من إصلاحه التشريعي

وقد امتد الإصلاح التشريعي الذى أنجزه الشيخ محمد مصطفى المراغي الى المسيحيين المصريين أنفسهم وذلك من خلال لائحة ١٩٣٨ للأحوال الشخصية التي لاتزال حتى الآن بمثابة الأمل العالى للمسيحيين ، وهى لائحة تقدمية إصلاحية انتفعت بها الكثير من دول العالم بعد عقود من الزمن، ومنها بريطانيا العظمى نفسها في التسعينيات، لكن سيطرة شمولية الحكم العسكري في مصر وما كانت تتطلبه من شمولية مؤسسات المجتمع الديني مكّنت بعض قيادات الكنيسة القبطية المصرية من التحكم المتعسف في الأحوال الشخصية لأبنائها وخلق مشكلات لا أول لها ولا آخر منذ بداية السبعينات بناء على رؤية فردية وصفت نفسها بأنها كهنوتية.

دوره فى الإصلاح التعليمي

اما دوره فى الإصلاح التعليمي فى الأزهر فدور عبقرى قلما أتيج لفرد واحد أن يصل إليه ويحرزه، وكان الفضل فى هذا الدور راجعا الى ثقة مطلقة فى قدراته سلمت له بها الأقطاب الثلاثة للسلطة فى مصر حتى لو اختلفوا معه فى تفاصيل الرؤية فقد كان يتمتع بثقة الوفد والنحاس (وإن اختلف فى توجهاته العملية بالتحالف مع الأحرار الدستوريين والقصر وأحزاب الأقلية) كما كان يتمتع بثقة الملك فؤاد ثم الملك فاروق والقصر كله و كان كذلك يتمتع بثقة الإنجليز الذين كانوا قد عرفوا كفاءته حين كان قاضيا لقضاة السودان قبل أن يصل الى منصبه الرفيع فى المحكمة الشرعية ومنصب شيخ الأزهر.

تقديره لقيمة الوقت

كان الشيخ محمد مصطفى المراغي حريصا على وقته، وكان من القلائل الذين يتحركون فى دأب شديد من أجل الإنجاز السريع دون أن تفقدهم هذه الحركة الوقار المعهود والمطلوب فى المناصب العليا، وكان المجتمع المصري يرى المراغي هنا وهناك خطيبا ومتحدثا ومدرسا ومناقشا ومفتشا وموجها، ولهذا فإنه كان يضمن بوقته

على الاجتماعات وعلى الاحتفاليات ، وهو أول من صمم على الاستقالة من عضوية مجمع اللغة العربية وهو في عنفوان عطائه لأنه رأى انشغاله بمسئوليته قد حالت بينه وبين الحضور الى دار المجمع لحضور جلساته ، وكأنما كان الشيخ محمد مصطفى المراغي يتصور أنه سيموت وهو يؤدي وظيفته، ومن ثم فإنه لا يجوز له أن يحتفظ بما يحتفظ به الأنداد من مناصب يقدر أن من فوائدها أنها تستغرق وقتهم بعد أن يتركوا وظائفهم المرموقة.

منارة عالمية

كان الشيخ المراغي منارة عالية يأتي إليها علماء المشارق جميعا فيستمعون الى رأيه فيما يواجههم من مشكلات الحياة والإدارة والبيروقراطية ، ويستعينون بمعارفه وعلاقاته القادرة على أن تحل لهم مشكلاتهم. كان الشيخ محمد مصطفى المراغي يشجع كل جهد إسلامي بلا استثناء وبلا من أو مساومة أو تعال ، ومن الثابت أنه لم يقصر في تشجيع حركة جماعة الإخوان المسلمين بل إنه كان أحد المتبرعين من ماله الخاص لشراء مقر الجماعة في الحلمية الجديدة، وهو تصرف لا يدل على النبل والعطاء فحسب لكنه يدل على بعد النظر والحرص على القدوة والسمو. وكذلك فعل الشيخ محمد مصطفى المراغي مع كل الجماعات الإسلامية التي نشأت في ذلك الوقت سواء من أجل الإصلاح الاجتماعي أو الديني أو السياسي أو المجتمعي أو المذهبي بما في ذلك جماعات الهداية الإسلامية وأنصار السنة والجمعية الشرعية .

القدرة على التقاط الجواهر

كان المراغي قادرا على تمييز الجواهر والتقاط النوابع من تلاميذه واللاحقين به ، وهو الذي اختار للأزهر رواد التعليم والتدريس فيه في الفترة التي تحول فيها الأزهر الى نظام الكليات الجامعية ، كما أنه هو الذي تولى بنفسه تنظيم العلاقة بين الأزهر والمعاهد التابعة له على نحو يستبقى المركزية من دون أن يجعلها مصدر تهديد لتقدم العلم وصناعة العلماء وازدهار المدارس العلمية الإقليمية.

كان النظام البديع الذي اختاره الشيخ محمد مصطفى المراغي لإصلاح التعليم الأزهرى من الذكاء والعبقرية بحيث إن زميله الشيخ الظواهري حين خلفه في

منصب المشيخة نفذه على نحو ما وضعه الشيخ محمد مصطفى المراغي باستثناء يسير جدا ، وإذا كان هذا مما يدل على عظمة الظواهري وثقته بالنفس الكبيرة فإنه يدل أيضا على موضوعية المراغي وثاقب فكره وإتقانه لمخططه وفهمه له وقدرته على صياغته أو اختيار أفضل وعاء للإصلاح التعليمي والتأهيلي في أقدم مؤسسة علمية عرفها العالم دون أن يهز ثوابت هذه المؤسسة أو أن يضعف من قدرتها المتراكمة على مدى العصور.

علاقته الوثيقة بالأحرار الدستوريين

كان انتماء الشيخ محمد مصطفى المراغي إلى مجموعة أو معسكر الأحرار الدستوريين أقرب ما يكون إلى أن يوصف على أنه انتماء طبقي هيأته العصبية، وهو انتماء مفهوم وصل في تداعياته إلى أن الأزهر نفسه انقسم في بعض مواقف تأييده للشيخ المراغي إلى صعايدة وبحاروة أي أبناء الصعيد أو الوجه القبلي والوجه البحري، وهو موقف بغیض وسخيف لكنه في رأيي يمثل (رغم كراهيتي له) مرحلة مهمة ومطلوبة من مراحل نمو الوعي السياسي والتنامي ولهذا فإنه سرعان ما يتهدب.

وعلى كل حال فإن وجوده على السطح أفضل من تأجيل ظهوره، والحديث عن المعاناة منه أفضل من كتمانها، فهو موقف من مواقف المراهقة الفكرية التي لا يجوز تأجيلها متى حل وقتها.

كان شخصية نادرة لاشك في هذا

من بين النصوص العديدة التي بين يديّ أفضل أن أحيل القارئ على نصوص الأستاذ محمد كرد على رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق، فقد تميزت هذه النصوص بما يوافق الجوهر الحقيقي لشخصية الشيخ محمد مصطفى المراغي الحقيقية ، وبما يتوافق مع منهجي المعهود في النظر إلى شخصية من وزن الشيخ المراغي .

الفصل الثاني : إبراهيم عبد الهادي باشا

من أسرع به القدر في الخير والشر

مكانته في عصره

لم يعرف تاريخ مصر الحديث شخصية أسرع بها أقدارها في الخير والشر علي حد سواء علي نحو ما حدث لإبراهيم عبد الهادي باشا، فقد كان هذا الرجل نموذجاً بارزاً لإسراع الأقدار به من حيث لا يدري هو ولا يتوقع أحد غيره. ولسنا بحاجة إلي التذكير بأن إبراهيم عبد الهادي باشا كان رجل دولة من الطراز الأول، ولا أنه كان الرئيس الثالث لحزب الهيئة السعدية (المعروف اختصاراً بالحزب السعدي) بعد مؤسسيه الأولين أحمد ماهر باشا ، والنقراشي باشا ، ولا أنه هو رئيس الوزراء الذي عقدت في عهده اتفاقية الهدنة في "رودس" مع إسرائيل (١٩٤٩).

وصل إلى ما يستحق بأسرع مما يُتوقع

وقد وصل إبراهيم عبد الهادي باشا إلي رئاسة الوزارة في آخر يوم من ١٩٤٨ ولم يكن من البعيد عليه أن يصل إلي رئاسة الوزارة بعد عشرة أعوام أو بعد عشرين عاماً من وصوله إليها وليس في ١٩٤٨ كما حدث، ولكن الذي حدث هو أنه كان الشخص الثالث في حزب السعديين أكبر أحزاب الأغلبية واغتيل الرجلان الأولان في خلال أقل من أربع سنوات (ماهر في فبراير ١٩٤٥ والنقراشي في ديسمبر ١٩٤٨)، وهكذا دفعت الظروف مرة بعد أخرى بإبراهيم عبد الهادي ليكون رئيساً للحزب والوزارة.

ثاني اثنين توليا رئاسة الوزارة بعد رئاسة ديوان الملك فاروق

ومن الجدير بالذكر أن إبراهيم عبد الهادي باشا كان هو الذي ألقى خطاب العرش في وزارة صدقي باشا الثالثة في نوفمبر ١٩٤٦، أي كأنه كان رئيس وزراء مفوضاً، وهو ما يدل علي أنه كان بمثابة الرجل الثاني أو الأول مكرر في هذه

الوزارة، فإذا ما أضفنا إلي ذلك أنه كان واحدا من اثنين توليا رئاسة الوزارة بعد رئاسة الديوان في عهد الملك فاروق، أمكننا أن ندرك مدي ما وصل إليه من مكانة لم يبذل جهدا كبيرا في سبيل القفز عليها.

أما علي المستوي الدولي فقد كان إبراهيم عبد الهادي مع عبد الحميد بدوي ممثلين لمصر في المؤتمر التأسيسي لهيئة الأمم المتحدة، وهو المؤتمر الذي انعقد في سان فرانسيسكو .

نشأته

ولد إبراهيم عبد الهادي في فبراير ١٨٩٨ في قرية الزرقا التابعة في ذلك الوقت لمركز فارسكور محافظة الدقهلية (وهي الآن مدينة وعاصمة لمركز جديد يتبع محافظة دمياط)، وهو ينتمي إلي عائلة المليجي، وكان والده من الأعيان، لكنه لم يعرف في التاريخ و أدبياته إلا باسمه المختصر: إبراهيم عبد الهادي.

الثورة الطلابية

كان إبراهيم عبد الهادي من أبرز الطلاب الذين شاركوا في الحركة الوطنية في ثورة ١٩١٩، وقد دفع به نشاطه وبلاغته وشخصيته إلي أن يكون أبرز زعماء الطلبة الثائرين وخطبائهم، وبسبب مشاركته في أحداث الثورة حكم عليه بالإعدام الذي خفف إلي السجن المؤبد في قضية المؤامرة الكبرى المعروفة باسم قضية عبد الرحمن فهمي، فقد اتهم هو وآخرون بالمشاركة في قتل ضباط وجنود إنجليز، ثم أفرج عنه سنة ١٩٢٤ في أعقاب تشكيل سعد زغلول لوزارته بعد أن أمضي في السجن ٤ سنوات، وعندما حكم عليه بالسجن لم يكن قد أكمل دراسته بالحقوق، وبعد خروجه من السجن أكمل دراسته وحصل علي إجازة الحقوق (١٩٢٥).

ثم قبض عليه مرة أخرى وقضي في المعتقل ما يقرب من شهرين في أعقاب اغتيال السير لي سناك (سردار الجيش المصري بالسودان) (نوفمبر ١٩٢٤)، لكن التحقيقات لم تسفر عن اتهام محدد ضده فأفرج عنه، واستمر يؤدي دوره الوطني والحزبي بامتياز وتفوق وإخلاص حتي تولي الوزارة (١٩٣٩)، ثم رياستها (ديسمبر ١٩٤٨).

رئيساً للديوان الملكي

وقبل أن يتولى رئاسة الوزارة حدثت مفاجأة غريبة وهي أن الملك فاروق كان قد أعجب بأدائه فجأة فاختاره رئيساً للديوان الملكي ١٩٤٧، مع أنه كان الرجل الثاني في حزب السعديين وكان وزيراً للمالية في وزارة النقراشي، وقد كان هذا الاختيار محل اندهاش شديد من جميع الأوساط حتي إن النقراشي نفسه علي حسب ما يرويه كريم ثابت، وهو (أي كريم ثابت) شخص أقرب إلي التأمّر، شك في دافع الملك إلي هذا الاختيار، وشكّ أيضاً في أن يكون إبراهيم عبد الهادي قد تواطأ مع القصر في هذا القرار .

وقد ظل إبراهيم عبد الهادي باشا رئيساً للديوان الملكي حتي اغتيل النقراشي فجأة فخلفه في رئاسة الوزارة، وقد شكّل إبراهيم عبد الهادي الوزارة من مكتبه كرئيس للديوان، وهو الوضع الذي حدث مع علي ماهر من قبل، مع الفارق، وهو أيضاً الوضع الذي كان يتمناه أحمد حسنين فلم يظفر به.

أول اسم في تعريضة المعارضة في أكتوبر ١٩٥١

أما أهم مواقفه المعارضة للملك فاروق والوفد معاً فتمثل في أنه كان أول اسم بين الموقعين على عريضة أكتوبر ١٩٥١ الشهيرة التي كان ممن وقعوها معه : الدكتور محمد حسين هيكل باشا ومكرم عبيد باشا ومحمد حافظ رمضان باشا ومصطفى مرعي بك وعبد الرحمن الراجحي بك وإبراهيم الدسوقي اباطة باشا و رشوان محفوظ باشا وعلي عبد الرزاق باشا وطه السباعي باشا وعبد السلام الشاذلي باشا .

قيمة معارضته

ومن إحقاق الحق أن نقول إنه لم يسبق إلي مثل هذا التصرف الوطني الشجاع ، وبخاصة أن تصرفه كان يعني تلقائياً عدم قبوله بمبدأ التعاون مع الملك في قادم الأيام في رئاسة وزارة أو في غيرها من المهام ، بيد أنه فيما يبدو لنا الآن بعد أن تراكمت الخبرات والوثائق أمام أعيننا كان قد وجد أن مثل هذا التصرف هو ما يليق به في ظل ما بدأ يدركه من عمق التأمّر الغربي على وطنه ، و فيما يبدو من

تصرفاته و تصريحاته في تلك الفترة فإنه لم يكن بما أُتيح له من مجد متطلعا إلى أن يبقى في الصورة بأية صيغة ، وهكذا ظن أن عليه أن يرضي ضميره بمثل هذه العريضة من دون أن يحسب حسابا لما كان يختمر الإعداد له من الانقلابات العسكرية المصنعة أمريكيا .

تدافع الحظ السيئ

ثم نأتي إلي الحظ السيئ وهو يتدافع علي إبراهيم عبد الهادي باشا في سرعة : فقد جاءت رئاسته للوزارة في أصعب فترة يمكن أن يواجهها أي سياسي حيث كانت قوة الإخوان الفاعلة في الشارع السياسي تتصاعد تصاعدا مذهلا، والمخابرات الأمريكية تحاربها بأقصى ما يمكن في صمت حربا لا هوادة فيها ، وقد تم اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا في عهده، بل تم أيضا اكتشاف أمر جمال عبد الناصر وجماعته من الضباط الأحرار في عهده، ومع هذا فإن إبراهيم عبد الهادي لم يجد من الملك تقديراً ولا دعماً للجهد الذي بذله في حفظ الأمن أو رئاسة الوزارة.

تقديمه للمحاكمة بعد قيام الثورة

وعندما قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان إبراهيم عبد الهادي باشا واحداً من السياسيين الذين قدموا لمحكمة الثورة (١٩٥٣) لمحاكمتهم، وكانت التهمة الموجهة إليه إفساد الحياة السياسية واتباع أو ممارسة سياسة البطش في أثناء توليه رئاسة الوزارة ضد السياسيين المعارضين، وكذا ما أشيع عن دور وزارته في اغتيال الشيخ حسن البنا.

الحكم عليه بالإعدام

وقد أصدرت المحكمة حكمها بإعدامه، غير أن الرئيس محمد نجيب رفض التصديق علي الحكم وأبدله بالأشغال الشاقة المؤبدة، ثم إن رجال الثورة أفرجوا عنه (١٩٥٤) لأسباب صحية.

هكذا تكثف سوء الحظ ضد إبراهيم عبد الهادي حتي حكم عليه بالإعدام، وهو حكم لم يصدر من قبل علي رئيس وزارة لكنه صدر ثم خفف، وشاء القدر أن يعيش

إبراهيم عبد الهادي بعدها عمرا طويلا حتي امتدت حياته إلي قرب وفاة الرئيس السادات نفسه.

وفي الفولكلور المصري الشائع أن محمد نجيب دعا ربه أن يمكنه من المشي في جنازة مَنْ ظلموه من قادة الثورة، وأن الله استجاب دعاءه، وأن إبراهيم عبد الهادي دعا الله أن يريه مصرع الذين ظلموه، وأن الله استجاب الدعاء.

حقيقة محنته مع ثورة ١٩٥٢

في ظاهر الأمور أن ثورة يوليو قامت ضد الملكية وأسرة محمد علي لكنها في تعاملاتها الحقيقية كانت أكثر تعسفا مع كل رجال الحركة الوطنية حتى بدا وكأنها قمت ضد الوفد والشعب والأحزاب وليس ضد الملك والإنجليز والأمريكان كما بشرت في بداياتها .

وقد على سبيل المثال فقد لقي إبراهيم عبد الهادي باشا الذي هو زعيم ثاني الأحزاب تمثيلا وهو حزب الهيئة السعدية كثيرا من عنت الثورة بلا ميرر ظاهر، وبالإضافة إلي صدور حكم بالإعدام عليه، فقد تعرض لكثير من الإيذاء والتضييق المتكرر، ويكفي أن نذكر أنه ظل يدفع إيجار بيته بالمعادي طيلة واحد وعشرين عاما حتي أمر السادات في مارس ١٩٧٤ بإعفائه من دفع إيجار بيته (!!). وفي يونيو ١٩٧٤ أفرجت الدولة عن ممتلكاته.

إعادة املاكه إليه

وفي ٣ يوليو ١٩٧٥ كان إبراهيم عبد الهادي واحدا ممن أعيدت إليهم أموالهم وممتلكاتهم وكانوا تسعة عشر:

- ثلاثة منهم كانت محكمتا الغدر والثورة قد حاكمتهم وهم : كريم ثابت باشا ، والسيدة زينب الوكيل، حرم النحاس باشا زعيم الأمة ، والدكتور أحمد النقيب باشا.
- وأحد عشر سياسيا مبرزاً كانت محكمة الثورة (وحدها) قد حكمت عليهم بأحكام مختلفة، وكان إبراهيم عبد الهادي باشا منهم، وبالإضافة إلي إبراهيم عبد الهادي باشا (والثلاثة الذين تكررت محاكمتهم أي كريم ثابت، والسيدة زينب الوكيل، حرم النحاس باشا ، والدكتور أحمد النقيب) فقد حكمت هذه المحكمة علي

كل من: فؤاد سراج الدين باشا ، وأحمد عبد الغفار باشا ، وإبراهيم فرج باشا ،
ومحمود سليمان غنام باشا ، والنبييل عباس حليم، ومحمد كامل القاويش باشا ،
ومحمد حلمي حسين باشا ، ومصطفى شاهين، وزكي زهران، وأحمد نصيف .
■ ● أما الخمسة التي حكمت عليهم محكمة الغدر دون محكمة الثورة فهم:
عثمان محرم باشا ، وأحمد محمد شعير، ومحمد حسين السليمانى، ومصطفى فهمي
باشا ، ومحمد مصطفى خليفة.

تتكيل نظام ٢٣ يوليو به

لم يكن الحكم بالإعدام هو العقوبة الوحيدة التي فرضتها الثورة علي إبراهيم عبد
الهادي، فقد صادرت محكمة الثورة أملاكه التي لم ترد إليه إلا كما أشرنا من قبل
في عهد الرئيس أنور السادات في يونيو ١٩٧٤ .
وبعد أكثر من أربع سنوات أخري، وبالتحديد في يونيو ١٩٧٨ أصدر الرئيس
أنور السادات قراراً مهما (لم يشأ صاحباؤه أن ينفذاه) وكان هذا القرار باستثناء
إبراهيم عبد الهادي باشا و وزير الخارجية الأشهر محمد صلاح الدين باشا من قرار
حظر الاشتغال بالعمل السياسي الذي كان تطبيقاً لقانون حماية الجبهة الوطنية، وهو
ما اعتبر في ذلك الوقت بمثابة اعتذار من عصر الثورة كله لهذا الرجل .
بيد أن لي رأياً آخر وهو أن من مفارقات القدر أن هذا التصرف كان، علي ما
أعتقد، بمثابة رد فعل من السادات تجاه حرص إبراهيم عبد الهادي علي عدم
الاشتغال بالسياسة !! وذلك عندما دعاه فؤاد سراج الدين لتزعم حزب الوفد الجديد!!

زيارة الرئيس أنور السادات له ببيته

وفي ٢٣ مارس ١٩٧٩ أعلن الصحف عن زيارة الرئيس السادات لإبراهيم عبد
الهادي باشا بمنزله بالمعادي للاطمئنان علي صحته، وتكررت الزيارة والإعلان
عنها في ٤ نوفمبر ١٩٧٩ ومن طرائف الزمن ما يروي من أن قصره بيع للريان
لكن النيابة تحفظت عليه في نوفمبر 1988 ، وقيل في ذلك الوقت إن هذا القصر أقيم
علي فدانين ونصف فدان، وإنه بيع بعشرة ملايين جنيه، وإنه كان يطل علي شوارع
58 و68 و78 و88 في حي المعادي القاهري الشهير .

نال ترصيتين في أخريات حياته

ومن العجيب أن إبراهيم عبد الهادي نال ترصيتين أخريين من الوفد والإخوان، أما الأولي فمن الوفد وقد أشرنا إليها لتونا، وهي أن فؤاد سراج الدين عرض عليه في السبعينيات رئاسة حزب الوفد الجديد، واعتذر إبراهيم عبد الهادي عن عدم السير في هذا الطريق، فقد كان قد ذاق ما جعله يتوب من ساس ويسوس وكل مشتقات الفعل المقلق .

أما الترضية الثانية التي جاءت من الإخوان فإنها أقرب للخفاء و لاتزال شائعة علي ألسنتهم وعلي حياء في كتاباتهم، وهي مقارنتهم بما ذاقوه من العذاب والظلم والتعسف علي يد عبد الناصر بما لم يصادفوه علي يد إبراهيم عبد الهادي، الذي كان إلي حد كبير ملتزماً بالقانون، حتي إنه كان يصرف لهم بطريقة مقننة بعض المال في السجن كي يدبروا أمورهم في السجن، في الوقت الذي تصرف فيه مرتباتهم لذويهم في خارج السجن.

و على كل حال فقد عاش إبراهيم عبد الهادي قرابة ثلاثين عاماً في عصر الثورة، كانت تبدو في معظمها سنوات هادئة حتي وفاته، رغم عنف البدايات وقسوتها البالغة ، وقد شهدت سنواته الأخيرة ، كما رأينا ، ترصيات متعددة له ولشخصه علي مستويات متعددة.

مفاجأة : سيارة زوجته كانت تحمل الطعام للإخوان

فيما بعد عقود من الزمن عرفنا من مذكرات السيدة فاطمة عبد الهادي زوجة الشهيد محمد يوسف هواش أن سيارة زوجة إبراهيم عبد الهادي باشا كانت تحمل الطعام للمسجونين من الإخوان !.

وإن كان هو قد لَمَح في مذكراته إلى معاونة شقيقه لهم !.

الفصل الثالث عبد الرحمن عزام باشا

أول زعيم قررت ثورة يوليو الإطاحة به بعد الملك فاروق

مكانته التاريخية

عبد الرحمن عزام باشا سياسي ومفكر بارز تخطى حدود مجتمعه المصري إلي آفاق عربية وإسلامية لم تتح بذات القدر لأحد من معاصريه ، وقد حقق هذا النجاح من قبل أن يكون أول أمين لجامعة الدول العربية، وهي الصفة التي تلازمه الآن في تعريف شخصيته وتاريخه ، والحق أن جهده في إنشاء هذه الجامعة يرقى إلى أن يعد شخصه من أبرز مؤسسيها الحقيقيين، شأنه في هذا شأن الزعماء للدول المؤسسة ، وقد طبع نشاطها في فترة توليه أمانتها بفكره السياسي المنتمي الذي بلور تاريخه العروبي والإسلامي، وكفاحه الطويل من أجل قضايا العروبة والإسلام.

نجاح شخصي و تاريخي

وقد ساعده تاريخه المتألق على النجاح كما ساعده ما تميز به علي المستوي الشخصي فقد كان شخصية قيادية توافقية .و كانت له نفس سمحة، وكان يتحلى بأدب جم، وقدرة علي الاستماع والإنصات واحترام رأي الآخر، وكانت في نفسيته سكينه، وكان عطاؤه متجددا، وكان يبذل من ماله ومن نفسه، وكان علي الدوام متواضعا، رضي النفس، هادئ الأعصاب علي الرغم من الآلام والاحباطات التي صادفته .

قيمه الرمزية

عاش عبد الرحمن عزام باشا رمزاً للعروبة وللجامعة العربية وللجهاد الصادق في القضايا العربية، ومع أنه بقي علي قيد الحياة حتى ١٩٧٦ فإنه عاش طيلة الربع قرن الأخير من حياته بعيدا عن بيته الحقيقي في الجامعة العربية أو ما يشبهها من كيان عروبي الطابع ، والشائع أن ثورة يوليو أقصته بأسرع ما يمكن عن موقعه المتقدّم في الجامعة العربية بعد شهور من قيامها، وربما يظن كثيرون أن هذا الإقصاء كان بسبب سوء تفاهم بين الرجل وبعض قادة الثورة على نحو ما تكرر الامر بينهم وبين كثير من زعماء الحقبة الليبيرالية لكن الحقيقة التي لم تكن تُعلن

عن نفسها بوضوح (الا لمن تابع أحداث العرب في السنوات الأخيرة منذ اندلاع ثورات الربيع) هي إن إقصاء هذا الرجل كان طلباً أمريكياً أو مشورة أمريكية او أمراً أمريكياً..

لم تكن الخريطة الدولية الجديدة تتحمل وجوده

و أياً ما كان خيارنا من بين هذه الخيارات الثلاثة فمن الواضح الآن أن الأمريكيين في ظل قيامهم بإعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة من خلال قاعدتهم الأرضية في إسرائيل لم يكونوا على استعداد على أن يتعاملوا مع شخصيات تتمتع بكثير أو قليل من مقومات الزعامة التاريخية القادرة على التوفيق و إزالة الخلافات ، وذلك على النقيض التام من البريطانيين الذين كانوا يتعاملون مع عزام بسببه ما كان الامريكيون يرفضونه .

شخصيات قرر الأمريكان تنحيتها عن الدور السياسي

كان عبد الرحمن عزام باشا أبرز نموذج الشخصيات التي قرر الأمريكان تنحيتها عن الدور السياسي ، وذلك لأنه كان يملك من المقومات السياسية و التاريخية مواقف مشرقة و واضحة صكت باسمه :

- فقد كان هو الرجل الذي اشترك بنفسه في مقاومة الهيمنة الغربية علي ليبيا في نهاية عهد الدولة العثمانية وشارك بفاعلية في الحرب الليبية (أو الطرابلسية علي نحو ما يُسمّها الأمريكان) ، وأثبت بطولة وقُدرة علي القيادة والمقاومة.
- ثم كان هو نفسه ذلك الرجل الذي عمل مستشارا سياسيا للجمهورية الطرابلسية التي تكونت عقب هزيمة دول المحور في الحرب العالمية الأولى بزعامة الشيخ سليمان باشا الباروني نوفمبر ١٩١٨ - يونيو ١٩١٩ .
- ثم كان هو نفسه ذلك الرجل الذي كانت علاقاته في الحرب العالمية الثانية ، رغم ما هو معروف عن صداقته للإنجليز ، مثار قلق للحلفاء منذ بدأت هذه الحرب في ١٩٣٩

- ثم كان هو نفسه ذلك الرجل الذي كان أول من دعا إلى إنشاء قوات مسلحة شعبية ، وأنشئت هذه القوات في اثناء عضويته في مجلس الوزراء تحت اسم "الجيش المرابط"
- ثم كان هو نفسه الرجل الذي تولي من خلال منصب الأمين المؤسس للجامعة العربية القيام مُبكراً بالأسلوب الذي أصبح يُسمّى بالجولات الموكبية بين الأطراف المختلفة وصولاً إلي الاتفاقات والقرارات (وقد مارس عزام هذه السياسة الناجحة قبل كيسنجر بأكثر من ربع قرن).
- وكان هو نفسه الرجل الذي شارك بأكبر قدر من التنسيق بين الجبهات العربية في حرب ١٩٤٨ على الرغم من ضُعب إمكانات التنسيق وغياب جهاز التنسيق بل و غياب مؤسسة حقيقية تتولّى هذا التنسيق، وإنما كان الأمر يعتمد عليه هو نفسه بإقدامه وشجاعته ولحمه ودمه.
- وربما هو السبب القاطع فقد كان هو نفسه الرجل الذي كان يمثل البوابة التي شارك من خلالها متطوعو الاخوان في حرب فلسطين و ما حققوه من اعمال مجيدة وانتصارات ساحقة
- وكلن هو نفسه واحدا من الذين فكر الإخوان في أن يسندوا إليهم منصب المرشد العام خلفا للإمام الشهيد

لم يكن مسموحا بوجود أمثاله في الصورة

وهكذا لم يكن من الوارد في سياسة الأمريكيين ولا تصوراتهم أن يسمحوا لأنفسهم بأن يتركوا سياسيا مصريا من طبقة عبد الرحمن عزام باشا على رأس منظمة إقليمية واعدة ظاهريا من قبيل الجامعة العربية لتكون النتيجة الحتمية هي ازدياد القوة الناعمة لمصر في المحيط العربي وفي الجوار الفلسطيني المباشر، على حين كان غياب عبد الرحمن عزام باشا عن هذا الموقع يمثل ضمانا لإنهاء كثير من مسارات التعاون الجاد أو بالأحرى المجاهدة الفاعلة ضد هذا الوجود الإسرائيلي في استيلائه بالقوة علي أراضي الآخرين ووطنهم بدون أي وجه من وجوه الحق معتمدا على منطق غطرسة القوة الذي كانت أمريكا تنكر أنها تستعمله في ذلك الوقت مع أنها ظلّت تستعمله مُغلّفا منذ بداية تدخلاتها وحتى ٢٠١٣ حين كشفت عن جوهر

سياستها الذي لم يعد من الممكن أن يختفي خلف البيانات المطاطية والعبارات الغامضة والوعود البراقة والأكاذيب المُنهجة والانحياز غير المُبرّر لا بالقانون ولا بالجغرافيا ولا بأيّ حق عرفي أو غير عرفي (بما في ذلك التعاون العسكري مهما كانت نتائجه)

نشأته وتكوينه الثوري

ولد عبد الرحمن عزام باشا في قرية الشوبك الغربي التابعة لمركز العياط ، في ٨ مارس عام ١٨٩٣. في عائلة عزام ، وهي من كبريات العائلات ، و جده هو الشيخ سالم عزام الذي كان ناظر الجيزة في عهد الخديو إسماعيل، وكان يفتح بيته للجمهور علي النظام العربي القديم، أما والده حسن عزام فكان عضوا في الجمعية التشريعية، وقد جاهد وكافح في المجال السياسي حتي نفي إلي السودان وهناك مات مغتربا.

عمومته للدكتور عبد الوهاب عزام

من الشائع أنه شقيق الدكتور عبد الوهاب عزام أستاذ اللغات الشرقية وعميد كلية الآداب وعضو مجمع اللغة العربية، لكن الحقيقة أنه عمه، وقد توفي الدكتور عبد الوهاب عزام قبل عمه عبد الرحمن عزام باشا الذي رزق طول العمر. تلقى عبد الرحمن عزام باشا تعليمه العام في مصر، وانتقل مع أسرته إلي حلوان، ودرس في مدرستي حلوان الابتدائية والسعيدية الثانوية، وحصل علي الثانوية العامة (١٩١٢)، ثم انتقل إلي لندن لدراسة الطب لكنه أثر أن يترك دراسته لينضم إلي الجيوش العثمانية التي اشتركت في حروب البلقان (١٩١٣).

دوره في حروب البلقان

أبلي عبد الرحمن عزام في جيوش الدولة العثمانية بلاء حسنا ، وانضم بعد هذا إلي القوات التي حاربت الإيطاليين في ليبيا، واكتسب سمعة خارقة بأعماله البطولية في هذه الحرب، وظل مشاركا في الحركات العربية ذات النشاط الدولي متعدي الجنسيات في تلك الفترة (وإن لم يكن هذا الوصف الاصطلاحي قد عرف آنذاك)، بعد أن حارب مع قوات الأتراك العثمانيين في البلقان ضد الصرب وروسيا ، وانضم إلي الليبيين و قوات الدولة العثمانية في محاربة الإيطاليين.

دوره في الجمهورية الطرابلسية

عمل عبد الرحمن عزام باشا مستشارا سياسيا للجمهورية الطرابلسية التي تكونت عقب هزيمة دول المحور في الحرب العالمية الأولى وتوقف الدعم التركي الألماني للمقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي. وكانت هذه الجمهورية قد تأسست بزعامة الشيخ سليمان باشا الباروني و دامت هذه الجمهورية ستة شهور ونصف الشهر من ١٦ نوفمبر ١٩١٨ إلى ١ يونيو ١٩١٩ ، وكان الباروني قد وصل مصراتة في ١٦ أبريل ١٩١٦ من الأستانة على ظهر غواصة ألمانية يحمل فرمانا من السلطان محمد رشاد الخامس بتعيينه واليًا على طرابلس. في الوقت الذي عين فيه السيد أحمد الشريف السنوسي واليا على برقة. وكان عبد الرحمن عزام باشا هو أول مستشار للجمهورية الليبية الأولى، ويسجل له التاريخ أنه عمل كثيرًا على التوفيق بين الزعماء الليبيين.

اندماجه في السياسة

كان عبد الرحمن عزام باشا قد أنشأ منذ ١٩٠٨ الرابطة الإسلامية على مبادئ الزعيم مصطفى كامل باشا ، وكان من ابرز الشبان القادرين على ممارسة العمل الوطني والسياسي ، فلما قامت الحركة الوطنية واندلعت ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول انضم إليها بكل قوة ، كما انضم إلي سعد زغلول في مفاوضات الوفد مع الإنجليز، وانتخب عضوا في أول مجلس نواب مصري ١٩٢٣ ، وكان أصغر أعضاء مجلس النواب سنًا .

وفي البرلمان ظهرت توجهاته الإسلامية والعربية بصفة لافتة للنظر، وكان قادرا علي مجادلة سعد باشا زغلول بمهافته وزعامته ، وظل عبد الرحمن عزام يمارس السياسة رغم تقلباتها، واعد انتخابه للبرلمان عام ١٩٣٦ .

عمله الدبلوماسي

في ١٩٣٦ عين عبد الرحمن عزام باشا وزيرا مفوضا وممثلا فوق العادة للمملكة المصرية عمل وزير مفوض، حيث اصبح بمثابة السفير المصري ففي عدة دول عربية و إسلامية : العراق و إيران و أفغانستان و السعودية. و شارك في مؤتمر فلسطين المزمع في لندن عام ١٩٣٩، مع الوفد المصري، وكان أحد أعضاء الوفد المصري لوضع ميثاق جامعة الدول العربية.

وعقب توقيع ميثاق الجامعة في ٢٢ مارس عام ١٩٤٥، وقع الاختيار عليه وبالإجماع، من قبل سبع دول عربية آنذاك، ليكون بذلك أول أمين عام لجامعة الدول العربية.

توليه الوزارة

اختير عبد الرحمن عزام باشا وزيرا في وزارة علي ماهر الثانية في ١٩٣٩، وهي الوزارة التي استمرت في الحكم ما بين ١٨ أغسطس ١٩٣٩ و ٢٧ يونيو ١٩٤٠ وفي تلك الوزارة الوحيدة التي اشترك فيها عبد الرحمن عزام باشا (وزارة علي ماهر الثانية) تولي عزام وزارتي الأوقاف (سبتمبر ١٩٣٩)، والشئون الاجتماعية (ديسمبر ١٩٣٩) علي التعاقب، و بالتبادل ، وكان بمثابة ثاني وزير للشئون الاجتماعية في تاريخ مصر .

دوره في تأجيل الموافقة إعلان الحرب علي دول المحور

ينسب الى عبد الرحمن عزام باشا ، كعضو في مجلس الوزراء المصري في بداية الحرب العالمية الثانية ، الفضل في تفعيل الاقتراح الخاص بتأجيل الموافقة علي إعلان مصر الحرب علي دول المحور بناء علي طلب بريطانيا التي كانت ترتبط مع مصر بمعاهدة ١٩٣٦، وقد تعهد لزملائه في مجلس الوزراء بأن يقنع البريطانيين بوجهة نظره بأن عدم إعلان الحرب يصب في مصلحة كل من مصر وبريطانيا والحلفاء، وقد نجح بالفعل في إقناع الأطراف المختلفة بالموقف الذي عرف بعد هذا بسياسة تجنب مصر ويلات الحرب، ولم ينجح أحد من الساسة المصريين في نقض هذا القرار طيلة فترة الحرب الثانية كلها وحتى أوشكت الحرب علي النهاية، فوافق البرلمان (ليلة اغتيال رئيس الوزراء أحمد ماهر في فبراير ١٩٤٥) علي طلب رئيس الوزراء إعلان الحرب شكليا علي دول المحور تمهيدا لاكتساب عضوية الهيئة الدولية التي ستؤسس بعد الحرب.

رواية إبراهيم عبد الهادي عن موقفه

كان الوزراء السعديون في وزارة علي ماهر باشا ومنهم ابراهيم عبد الهادي باشا يطالبون بإعلان الحرب علي دول المحور استجابة لطلب بريطانيا ، لكن عبد الرحمن عزام كان ضد هذا ، وكان كما ذكرنا يطالب بالتريث ، وسنورد فيما يلي

أجزاء من روايات إبراهيم عبد الهادي باشا عن طبيعة الموقف المشرف لعزام باشا وهو موقف سجل إبراهيم عبد الهادي احترامه له رغم اختلافه معه .

يقول إبراهيم عبد الهادي باشا :

"وفي مجلس الوزراء تكلم عبد الرحمن عزام باشا ، وعارض فكرة اشتراك مصر في الحرب، وانضم إليه مصطفى الشوربجي بك، وصالح حرب باشا، والفريق ياور الملك حيدر باشا".

"وليسمح لي القارئ أن أقول كلمة عن الفريق حيدر هنا: فالرجل لم يكن له رأي أبدا يضعه الإنسان في اعتباره، ولذلك لم يكن في العير ولا في النفير، إنما الموجة كده ، وأصبحت زفة ، ومولاه قد تغير فلا بد من أن يتغير، أما عبد الرحمن عزام باشا فهو رجل له منطق، وله ملاحظة في تكييف رأيه، فلما عارض الفكرة قال له علي ماهر باشا: طيب وما العمل في موقفنا مع الإنجليز؟".

"فرد عزام باشا علي رئيس الوزراء بقوله: أنا كفيل بإقناع الإنجليز بوجهة نظري، لأنه ليس من مصلحتهم أن تدخل مصر الحرب فتصبح الموانئ والمطارات تحت رحمة غارات المحور".

إهانة عبد الرحمن عزام لحسين سري باشا

ثم يروي إبراهيم عبد الهادي واقعة قاتلة يوجه فيها سهام نقده لحسين سري باشا وسلوكه المزرى في أثناء مناقشة عابرة في مجلس الوزراء مما جعل عبد الرحمن عزام لا يجد حرجاً في أن يقول علنا لحسين سري باشا بازدراء إنه خدام للإنجليز:

"... وأصرت الوزارة علي عدم إعلانها الحرب علي ألمانيا، وإن كان علي ماهر وحسين سري بالذات علي غير هذا الرأي".

"وفي حديث جري حول هذا الموضوع وكان أكثر المتحدثين فيه بعدم إعلان الحرب عبد الرحمن بك عزام وزير الشؤون الاجتماعية، فانبري له حسين سري باشا قائلاً: "كيف تقول بهذا وأنت صديق الإنجليز؟"، فالتفت إليه عزام باشا ورد عليه بغضب: «نعم أنا صديق الإنجليز عندما يستشيروني في أمر أنا به خبير أقوله لهم بصراحة كصديق، أما أنت فخدام للإنجليز كما كان أبوك خدامهم من قبلك، اسكت ولا تتكلم!".

"فسكت حسين سري ولم ينطق بكلمة واحدة ووجم الوزراء وكان موقف حسين سري مزرياً للغاية!"

صاحب فكرة الجيش المرابط

كان عبد الرحمن عزام باشا (فيما قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية) أول من دعا إلى إنشاء قوات مسلحة شعبية ، وكان القائد المصري العظيم محمد صالح حرب باشا وزير الحربية في وزارة علي ماهر باشا متوافقا مع هذه الفكرة ، وأقنع عزام باشا علي ماهر باشا عندما كان رئيسا للوزارة وأنشئت هذه القوات تحت اسم "الجيش المرابط" وقد أبدى الإنجليز انزعاجهم من هذا التوجه ، وسعوا إلى إلغائه لكنهم لم ينجحوا في مسعاهم الا بعد إقالة علي ماهر من الوزارة .
ومن الناحية الفكرية فقد كان الجيش المرابط في رؤية عبد الرحمن عزام باشا إحياء لفكرة الجهاد الشعبي الإسلامي التطوعي ضد الجيوش الاستعمارية .

رؤيته الاجتماعية

كانت وجهة نظر عبد الرحمن عزام باشا فيما يتعلق بعمل وزارة الشؤون الاجتماعية أن تولي الوزارة قضية الفقر عنايتها الكبرى، وكان يعتبر الفقر هو الأصل الجذري لكل مشكلات مصر الاجتماعية، وكان يقول إن المريض إذا كان غنياً يمكنه أن يتداوى ويعالج دون إرهاب، وكذلك الجاهل، إذا كان أمياً فإنه لا يعدم من يعلمه ويتفقه ويأخذ أجر تعليمه إذا كان كبير السن، أو أن يلتحق بالمدرسة إذا كان من الناشئة، أما علة العلل وحدها فهي الفقر! وعلي الوزارة أن تهتم برفع المستوى المعيشي للفقراء، فتصل إلي النجاح من أقرب طريق.
وقد ظل عبد الرحمن عزام باشا علي اعتقاده بأن الفقر آفة البشر وأن الإسلام عالج الفقر "والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم" ، فصان بذلك كرامته الإنسانية، أما الذي يعجز لفقد الوسيلة إلي العمل، فقد أوجب الإسلام علي الدولة إيجاد الوسيلة لتكسبه.

دفاعه عن عروبة مصر

كان عبد الرحمن عزام باشا حريصا علي تقوية الإيمان بالذات، وكان يقول إن أهم ما يتطلبه العرب من أجل البعث الجديد هو الإيمان بأنفسهم «فقد افتتنوا بعظمة من سواهم حتي أصبحوا يعيشون علي هامش الأحياء».

مساجلته مع الدكتور طه حسين

وقد خاض عبد الرحمن عزام باشا من أجل إيمانه بفكرته العروبية معارك فكرية متعددة، كان من أشهرها معركته مع الدكتور طه حسين (١٩٣٣) حين كان مفتونا بفكرة إخراج مصر من انتمائه العربي، وف هذه المواجهة ألقى عزام باشا على طه حسين سؤاله: هل له أن يذكر بعض الحوادث التي تدخل العرب المسلمين في زمرة المعتدين علي المصريين؟ وقد انضم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني إلي عبد الرحمن عزام في التصدي لآراء الدكتور طه حسين، وقد كسب عزام معركته مع طه حسين، وقيل وقتها: إن طه حسين تراجع بعض الشيء لأنه عزّ عليه أن يعترف بالخطأ.

إيمانه المبكر بالوحدة العربية

من الجدير بالتأمل أن عبد الرحمن عزام باشا كان منتبها منذ مرحلة مبكرة إلي قدوم عصر الكيانات والتكتلات الكبيرة قبل أن تظهر المصطلحات التي تحدثت عن هذا المعني بستين سنة، وقد استخدم لهذا المعني تعبيره الجميل «عصر التجمع». كان الاهتمام السياسي الأكبر الذي سيطر علي تفكير عزام هو مبدأ الوحدة العربية، وكان عزام باشا قد كتب مقالات رائعة عن الوحدة العربية منذ مرحلة مبكرة، في «الهلل» وفي «كوكب الشرق» و«البلاغ». وقد أوضح آماله في الجامعة العربية في ختام مقاله «الإمبراطورية العربية» (الهلل، ١٩٣٤) حيث قال: «لست أقصد بكلمة الإمبراطورية العربية غير الوحدة علي أي مظهر حُقت، وليس الغرض تغلب قبيلة علي قبائل، أو أمير علي أمراء، أو استئثار إقليم علي إقليم، إنما أول القصد وغايته التعاون بين الشعوب العربية، لتكون جبهة واحدة تسير علي ضوء المثل الأعلى الذي يخرجها من مزاجها المشترك!».

تحوله من الدعوة للعمل المؤسسي

ولما تطورت دعوة عبد الرحمن عزام باشا أصبح هو نفسه من أبرز الذين كثفوا الجهود من أجل إقامة الجامعة العربية مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ونجحت جهوده، وقد تحمست لوجهة نظره الحكومة المصرية الوفدية برئاسة الزعيم

مصطفى النحاس باشا في ذلك الوقت ، و لأن الحكومات العربية كانت تثق فيه وتقدر جهاده فقد انتخب ليكون أول أمين عام للجامعة.

العمل للعروبة والعمل للإسلام

لم يكن عبد الرحمن عزام باشا يفرق بين العمل للعروبة والعمل للإسلام كما أنه لم يكن يفرق بين العمل السياسي والجهاد في ميادين القتال.

أداؤه في الجامعة العربية

وعلى وجه العموم فقد كان نشاط عبد الرحمن عزام باشا في منصبه يخرج عن حدود العمل السياسي البيروقراطي الذي رُسم للجامعة والأمانه العامة. ومع هذا فقد كان عبد الرحمن عزام باشا من أنصار التوافق مع الرأي القائل بأن الجامعة ليست لها سياسة خاصة بها لأنها ليست دولة فوق الدول وإنما هي نظام بيروقراطي لتنفيذ سياسة الدول الأعضاء فلا يمكن أن يكون لها نشاط إلا عن طريق حكومات الدول الأعضاء و كان يعرف أن كثيرا منهم لم يكن يخفي معارضته لمواقفه وتصريحاته ومواقفه الجريئة الصريحة وخاصة بالنسبة لشمال أفريقيا.

أول مَنْ مارس دبلوماسية المكوك

وكان عبد الرحمن عزام باشا كما اشرنا من قبل أول مَنْ مارس دبلوماسية المكوك حيث كان يتردد في أثناء وضعه لميثاق الجامعة علي عدة دول في أسبوع واحد، ثم يرجع ليوصل التنقيح، والمحو والإثبات، حتي أتيح لميثاق الجامعة العربية أن يظهر علي وجهه النهائي..

نص ميثاق الجامعة علي أن من أغراضها الأساسية التعاون المشترك في الشؤون الاقتصادية والمالية، وشؤون المواصلات، وشؤون الثقافة، ويدخل في أغراضها تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية، التي قد تنشأ في المستقبل لكفالة الأمن والسلام، كما نص الميثاق علي أنه لا يجوز الالتجاء إلي القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة، ومجلس الجامعة هو المسئول عن فض الخلاف سلميا، ويكون قراره ملزما، أما الاعتداء الخارجي علي دولة عربية فمن حق المجلس أن يتخذ التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء سلميا وحربيا.

احترام نظم الحكم القائمة في كل دولة عربية

وقد أكد الميثاق على أن تحترم كل دولة من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم، وتعتبره حقا من حقوق كل دولة، ولمجلس الجامعة أن يعتبر أية دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة.

كلمته في افتتاح الجامعة

وفي جلسة الافتتاح الأول ألقى مندوبو الدول كلماتهم وضمنوها ما يؤيد الميثاق، وألقى هو باعتباره الأمين العام كلمة مهمة قال فيها: «إن الجامعة وميثاقها ليست إلا عنوانا لميثاق غير مكتوب أخذه علينا أبائنا ورسلنا من قبل، وأخذناه علي أنفسنا اليوم، والميثاق الذي أمضيناه الآن هو عنوان الكتاب، ولكن رسالة الجامعة مطوية في ثنايا السطور، وهي المقصودة من الميثاق

فلسطين علي رأس اهتمامات الجامعة

وإلى عبد الرحمن عزام باشا يرجع أكثر الفضل في وضع قضية فلسطين علي رأس اهتمامات الجامعة حتي خصصت إدارة كبيرة في الجامعة للقضية الفلسطينية، كما تولي الدفاع عن قضية فلسطين في هيئة الأمم المتحدة.

قرار التطوع في حرب فلسطين

عاد عبد الرحمن عزام باشا وهو أمين عام الجامعة العربية الي تبنى فكرة إنشاء قوات مسلحة شعبية لمساعدة الفدائيين في فلسطين عام ١٩٤٧/١٩٤٨ وطلب من الحكومات العربية أن تسمح لضباط جيوشها بالتطوع لقيادة الكتائب الشعبية التي تمولها الجامعة العربية للانضمام إلى صفوف الفدائيين في دولة فلسطين الشقيقة ، وفعلا صدر قرار عربي بهذا ، وتطوع كثير من الضباط لقيادة كتائب المقاومة الشعبية التي كان يقودها الشهيد البطل أحمد عبد العزيز ما بين عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨.

تخوين عبد الرحمن عزام

بعد حرب فلسطين وفي غضون الحملات العربية التي خون فيها كل طرف عربي الأطراف الأخرى تناثرت في بعض الكتابات العربية أقاويل تتهم عبد الرحمن عزام

بأنه لم يكن مخلصا للقضية الفلسطينية ومع أن الادبيات المتاحة عن حرب فلسطين لا تزال بحاجة الى الفحص والتحقيق والمدارسة ، فإننا لا نغفل هنا أن نشير الى أن رئيس الوزراء في ذلك الوقت وهو إبراهيم عبد الهادي باشا كان حرصا في مذكراته علي تبرئة عبد الرحمن عزام وعلي ماهر باشا مما أشيع في نطاق محدود حول موقف غير كريم لهما من قضية فلسطين:

".... وسئلت عن قصة نشرت عن فلسطين بأن اليهود اتصلوا بعلي ماهر وعبد الرحمن عزام وأنهم استطاعوا أن يؤثروا في الرجلين أو عليهما حتي سلكا طريقا غير كريم نحو قضية فلسطين، وإني أشهد بأني عشت وعرفت واتصلت بعدد الرحمن عزام فما لمست فيه يوما ضعفا في وطنيته، ولا تهاونا في مصالح بلاده والأمة العربية أبدا، هذه كانت أقاويل المضللين وإشاعات المغرضين، وحرام عليّ وعلي أي إنسان أن يقول عن عبد الرحمن عزام مثل هذا . أما علي ماهر، وأنا من الناس الذين اشتغلوا معه، وكثيرا ما سخرت من بعض تصرفاته ولم تكن تعجبني تصرفاته وهو من أكبر عوامل فساد الملك، لكنه لا يمكن أن يعمل عملا غير وطني. كان يعتقد أنه لا يوجد في مصر من يفهم في السياسة إلا هو، وما كان يطيق أن يعمل مع رجل كبير الرأس في السياسة أو يعتد بنفسه، وكان دائما يختار وزراءه أقرب إلي السكرتيرين منهم إلي الوزراء، وإذا دخل وزارته أحد من غير هذا الطراز سرعان ما يضيق به ولا يحتمله، لكن علي ماهر رجل وطني"

دعم المقاومة الشعبية في قناة السويس

قدم عبد الرحمن عزام باشا أقصى ما يمكنه من دعم للمتطوعين الذين بدأوا العمل الفدائي ضد الإنجليز في منطقة القتال عام ١٩٥١ وهي الحركة التي دعمتها وزارة الوفد الأخيرة بل وشاركت فيها بقوات الشرطة كما هو معروف.

دعمه لقضية اندونيسيا

كان عبد الرحمن عزام باشا أول من تبني قضية استقلال دولة إندونيسيا وساند شعبها في الكفاح ضد الهولنديين، ويذكر له انه سرعان ما عرض الأمر أمام مجلس الجامعة العربية، و كانت الجامعة أول منظمة دولية تعترف بأندونيسيا حرة مستقلة ذات سيادة على أرضها.

وقد واجه عبد الرحمن عزام باشا احتجاج بعض الزعماء العرب بأن أندونيسيا ليست دولة عربية فلا شأن للجامعة العربية بقضيتها فقال اننا بحاجة إلى مساعدة جميع الحركات الوطنية وإلى التعاون مع المجموعة الآسيوية من أجل قضية فلسطين وأنهم فعلا تعاونوا معنا في قضية سوريا و لبنان ضد الحكم الفرنسي التي انتهت باعتراف فرنسا باستقلال الجمهوريتين العربيتين ولا يمكن أن نتخلى عن التعاون مع جميع المدافعين عن الحريات والاستقلال لجميع الشعوب وقد سار شوطا بعيدا في دفاعه عن أندونيسيا حتى استقلت كما استقلت سوريا ولبنان.

سياسة التقارب العربي مع الهند

كان عبد الرحمن عزام باشا هو اول من بدأ سياسة التقارب العربي مع الهند من خلال موقعه في الجامعة العربية وهي السياسة التي بررت وجود هذا التكتل في بدايته بالرغبة في الدفاع عن أندونيسيا حتى تنال استقلالها وذلك من خلال تكوين كتلة دولية في الأمم المتحدة تحمل اسم المجموعة العربية الآسيوية.

مساعدته لدول المغرب العربي على الاستقلال

كان عبد الرحمن عزام باشا يكرر النصح لزعماء شمال أفريقيا في تونس و المغرب و الجزائر بالجهاد وذلك على الرغم من أن بعض ساسة الدول العربية كانوا يفضلون أن يحتفظوا بصداقة فرنسا ، ولو أدى ذلك إلى التنازل للحركة الوطنية في شمال أفريقيا.

كان عبد الرحمن عزام باشا يوجه نصائحه لزعماء شمال إفريقيا في تونس و المغرب و الجزائر الذين كان يلتقى بهم في القاهرة (و زملاءهم الذين التقى بهم في باريس) الى حقيقة مهمة وهي أن " الجامعة العربية لن تحصل لكم على الاستقلال بل عليكم أن تاخذوه بجهادكم وتضحياتكم وكل ما يمكن ان تفعله الجامعة أو الدول العربية هو أن تساعدكم في جهادكم "

زياراته لباريس

روى الأستاذ جميل عارف كاتب مذكرات عبد الرحمن عزام باشا أنه رافقه عندما زار باريس لأول مرة عام ١٩٤٦ وحضر معه مؤتمره الصحفي الذي تكلم فيه عن القضايا العربية وسياسة الجامعة العربية إزاءها ، ولم يقتصر كلامه على قضية

فلسطين ولا قضية ليبيا كما كان الفرنسيون يتوقعون ، لكنه تكلم أيضا عن قضايا تونس والمغرب و الجزائر مما أثار الفرنسيين الرسميين وغير الرسميين :
" ولقد تابعت تعليقات الصحف الفرنسية على زيارة عزام وتصريحاته وكانت خلاصتها أن هذا رجل مخرف جاء لباريس ليتكلم عن شعوب خاضعة للسيادة الفرنسية والاتحاد الفرنسي وأن على الحكومة الفرنسية أن تلزم هذا الرجل حده أو تطرده من بلادها" .

شهادة جميل عارف عن الفارق بين الزيارتين

" بعد خمس سنوات فقط من الزيارة الأولى ذهبت معه إلى باريس في زيارته الثانية في خريف عام ١٩٥١ م ليدافع عن قضية المغرب أمام الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة وعادت الصحف الفرنسية تهاجمه وحاصرته الحكومة الفرنسية هو و وفد الجامعة العربية (الذي اشتركت فيه) حصار شديدا حتى لا يتصل بأحد من زعماء الحركة الوطنية في أقطار شمال أفريقيا ولكنه لم يأبه لهذا الحصار ولا لهذه الحملات الصحافية وحضرت حوار بينه وبين أحد العقلاء من الفرنسيين الذي كان ينصحه بان تقنع الجامعة العربية بقضية فلسطين ولا تشغل نفسها بقضايا شمال أفريقيا إلا عندما تنتهي من قضية فلسطين ولكن عزام قال له: وأنا أنصح فرنسا بأن تنصف شعوب شمال أفريقيا وتكسب ودهم وصدقتهم لأنهم لا يمكن أن يرضوا بالتبعية الفرنسية وإذا لم تنصفوهم سوف يلجئون للسلاح وإذا حملوا السلاح فلن يضعوه حتى ينالوا حقوقهم إنني أعرفهم أكثر منكم وتجربتي معهم تؤكد لي ذلك وقد أثبتت الأيام أنه كان صادقا" .

استقالته من أمانة الجامعة

ظل عبد الرحمن عزام باشا يؤدي واجبه حتى قامت الثورة في مصر (١٩٥٢) ولم تنشأ التعاون معه فتقدم باستقالته من منصبه بناء على طلب الوصي على العرش القائم مقام محمد رشاد مهنا بالتحديد علي حسب ما ذكر الأستاذ محمود عبد المنعم مراد في حلقة من حلقات مذكراته التي نشرتها جريدة الرأي للشعب.
وقد أثار الملك فيصل بن عبد العزيز منذ أن كان وليا للعهد أن تستأثر المملكة العربية السعودية بالإفادة من عبد الرحمن عزام باشا و أن تفيد من خبراته، وعين

مستشارا سياسيا للمملكة العربية السعودية، و كان هو الذي مثل المملكة في النزاع الحدودي المتعلق بواحة اليريمي.

وقد تناولنا في كتابنا «مذكرات قادة الدبلوماسية المصرية» دوره في الجامعة العربية من خلال ما كتبه الأمين العام المساعد الدكتور عبد الوهاب العشموي عن هذا الدور في مذكراته «شرح في جدار الجامعة العربية».

فكره السياسي في مرحلة التقاعد

ظل عبد الرحمن عزام باشا مقتنعا بفكرتين أساسيتين اعتبرهما أهم خصائص الفكر الإسلامي هما فكرة الجهاد والفداء وفكرة وحدة الشعوب الإسلامية جميعا سواء كانوا عربا أو غير عرب ، وكان يجاهر بان رسالة العرب الخالدة في نظره هي الرسالة الإسلامية وأول أسس هذه الرسالة أنها لا تقر الاعتزاز بعنصر أو جنس ، وأن قيمة الإنسان في عمله وفي ساحة العمل والجهاد ينعم الجميع بأخوة التضحية ووحدة المصير والتسابق للشهادة.

كتابه «الرسالة الخالدة»

وضع عبد الرحمن عزام باشا كتابا بعنوان «الرسالة الخالدة» كان له قبول عظيم في دول العالم الإسلامي، فترجمته حكومة الجمهورية الإندونيسية، ونشرته في البلاد المتكلمة بلغة الملايو، كما ترجمته رئاسة الشؤون الدينية في حكومة تركيا، ووضع له حمدي أفسكي شيخ الإسلام في تركيا مقدمة مسهبة، كما ترجم الكتاب إلي الفارسية والأردية والإنجليزية بإيران وباكستان وأمريكا!

وعلى حد تعبيره هو نفسه فلم يكن كتابه «الرسالة الخالدة» وليد المصادفة، بل كان وليد تأمل طويل في الأحوال الدامية في أثناء الحرب العالمية الثانية، و حقيقة أسباب الاضطراب العالمي.

و له أيضا في سيرة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كتاب «بطل الأبطال»، الذي يرسم للبشرية قدوة مثلي في حياة محمد (صلي الله عليه وسلم)، وقد قدم له شيخ الأزهر الأشهر الشيخ محمد مصطفى المراغي.

تكريمه

نال عبد الرحمن عزام باشا كثيراً من التكريم والتقدير من دول عديدة ، فحصل مبكرا على النيشان العثماني المجيدي و الهلال الحديدي، من قبل الدولة العثمانية،

وقد منحت إندونيسيا اسمه في نوفمبر ١٩٩٢ أعلي وسام تمنحه الدولة الإندونيسية تقديرا لدوره في استقلالها وإقناع الدول العربية جميعا بالإسراع بالاعتراف بهذا الاستقلال.

كما نال عبد الرحمن عزام باشا أرفع الأوسمة من حكومات الدول العربية : العراق وسوريا ولبنان والأردن وكذلك من حكومات أفغانستان وإيران وتركيا ونال أيضا وساما من دولة الفاتيكان.

آثاره:

- بطل الأبطال أو أبرز صفات النبي محمد، طبعات عديدة
- الرسالة الخالدة ، طبعات عديدة

مذكراته

نشرت مذكرات عبد الرحمن عزام باشا في السبعينيات عن المكتب المصري الحديث، وتولي تحريرها الصحفي الكبير الأستاذ جميل عارف ، ١٩٧٦

وفاته

توفي عبد الرحمن عزام باشا في القاهرة في ٢ يونيو ١٩٧٦ ، ودفن في مسجد عزام بطلوان

الفصل الرابع : الزعيم محمد صالح حرب باشا

زعيم ثورة ١٩١٥ وقائد النصر في معركة وادي ماجد

النظير الوحيد للرئيس السادات في الحقبة الليبرالية

محمد صالح حرب باشا ١٨٨٩-١٩٦٧ زعيم مصري نادر ممن رزقهم الله الجمع المتألق والفريد بين فطرة الاسلام ونخوة السودان ونكهة الوطنية وثقة العرب ونباهة السياسة وحب الجماهير ، وهو السياسي المصري الوحيد (فيما قبل أنور السادات) الذي جمع الجهاد والنصر العسكري و العمل السياسي والوزارة وقيادة الجيش وريادة المجتمع المدني ، وليس عجباً أن كليهما فقط وحصريا هما السياسيان المصريان المولودان لأم سودانية وأب مصري ، وهو في تقييمي التاريخي لحقبة الليبرالية ، ورغم عدم تمتعه بالشهرة الزاعقة ، يقف في مكانة تاريخية تالية مباشرة لزعيمي الأمة سعد زغلول باشا و النحاس باشا وسابقا على زعماء الأقليات .

جمع بين صداقة الاستاذ العقاد و الإمام الشهيد البنا

ومن الطريف أنه هو الوحيد الذي ظل يجمع بين صداقة الاستاذ عباس محمود العقاد و الإمام الشهيد حسن البنا ، فقد كان اغتيال النقراشي على يد شباب من الاخوان المسلمين عقب قراره بحل الجماعة واعتقال أعضائها سببا مباشرا في انقباض كل من يحبون النقراشي (وفي مقدمتهم العقاد) من الاخوان المسلمين ، لكن صالح حرب باشا وحده كان من حاول مساعدة الدولة والمجتمع على عبور الازمة من أجل الوطن ، ونحن نعرف من وقائع التاريخ المعلن ان الامام الشهيد حسن البنا قد استشهد وهو يهيم بدخول مقر جماعة الشبان المسلمين ليتداول مع أطراف من الحكومة .

قيادته ثورة ٢٧ نوفمبر ١٩١٥

ربما يتعجب القارئ من أن كتبنا التاريخية لا تشير الا في النادر الى القيمة الوطنية العظيمة التي انجزها هذا الرجل من خلال قيادته لثورة مسلحة في ٢٧

نوفمبر ١٩١٥ ضد البريطانيين في منطقة مرسى مطروح وهي ثورة حقيقية شاركت فيها معه ومع الجنود المصريين جموع من القوات السنوسية وقبائل أولاد عليّ وكانت واحدة من أبرز ثورات المصريين المجيدة التي لا يزال التاريخ الرسمي يستحسن تجاهلها في كل العهود ، هروبا من الاعتراف بقدرة الجماعات الصغيرة على تحقيق إنجازات وطنية وثورية مؤثرة ، كما يستحسن التاريخ الرسمي العسكري تجاهلها لسبب مفهوم وهو أنها أول ثورة مباشرة يقوم بها ضابط وطني مصري ضد الانجليز منذ الاحتلال في ١٨٨٢ .

وقد كان من الطبيعي أن تتفاعل و تتأثر هذه الثورة بالتوازنات الدولية في اثناء الحرب العالمية الاولى وبصفة خاصة بما حدث في تركيا أو في حروب دولة الخلافة العثمانية، وهكذا ساندت هذه الثورة نهج مصطفى كمال أتاتورك المحارب في بدايته، وأيدته في حربه وانتصاره على اليونان .

قيادته المنتصرة لمعركة وادي ماجد ديسمبر ١٩١٥

ويذكر التاريخ العسكري لمحمد صالح حرب قيادته المنتصرة للقوات المحاربة للإنجليز في معركة وادي ماجد في ٢٤ ديسمبر ١٩١٥ وقد ظل محمد صالح حرب باشا مسيطراً بقواته على الواحات والمنطقة الغربية من صحراء مصر لأكثر من عامين.

ونحن نفهم بالطبع أن هذه الثورة قد توقفت بسبب هزيمة ألمانيا وتركيا معها في الحرب العلمية الأولى..

نشأته وأصوله

ولد هذا الباشا العظيم محمد صالح حرب باشا في العام الذي ولد فيه الأستاذ عباس محمود العقاد ١٨٨٩، وهو العام الذي شهد أيضا مولد عدد من السياسيين مختلفي التوجهات والتاريخ من أمثال أحمد حسنين باشا رئيس الديوان والزعيم الدستوري إبراهيم دسوقي أباطة والوفدي مكرم عبيد باشا.. وقد كان السن زميلاً للأستاذ العقاد في المدرسة الابتدائية، وظل على صداقته به طيلة عمره..

الأصول السودانية والمصرية

جمع صالح حرب في نشأته بين ما نسميه الآن من باب التجاوز الأصول السودانية والمصرية بينما هي شيء واحد والدليل واضح فيه هو نفسه فقد كان جده محمد علي بك من القادة العسكريين الذين عملوا في السودان ثم استقروا هناك، وكان هذا الجد محمد علي بك هو الذي أتم إنشاء الاستحكامات العسكرية في دنقلة ثم أقام فيها، أما والده صالح حرب الذي نشأ في دنقلة فقد أصبح في سن مبكرة بحكم تربيته المتميزة حاكماً لدنقلة، وتزوج من أعرق عائلاتها وهي عائلة كيكي (ولم تنجب والدته التي هي ابنة السيد مصطفى عثمان كيكي غيره)..

رحيل والده مع قيام الثورة المهدية

ولما قامت الثورة المهدية في السودان اضطر والده أن يرحل بعائلته إلى أسوان وفيها أنجب ابنه محمد باشا وتوفيت الوالدة ودفنت في أسوان، وتزوج والده بعدها من السودان أيضاً أما الابن محمد صالح باشا فقد ولد ونشأ في أسوان وتعلم في الكتاب ثم في مدرسة أسوان الابتدائية كما ذكرنا ثم التحق بمدرسة خفر السواحل وتخرج فيها ١٩٠٣، وكانت المدارس العسكرية في ذلك العصر تقبل طلابها الحاصلين على الابتدائية القديمة.

لمعانه في وظائف خفر السواحل

تدرج محمد صالح حرب في وظائف خفر السواحل وهي وظائف عسكرية برتب عسكرية حتى أصبح الحاكم العسكري لمرسى مطروح وسيوه، وهو ما قد يناظر الآن قائد المنطقة العسكرية الغربية بعد أن امتدت سلطة القوات المسلحة إلى المناطق التي كانت فيما مضى تابعة لسلاح الحدود وخفر السواحل. كانت النزعة الوطنية مهيمنة تماماً على محمد صالح حرب باشا وقد دفعته إلى أن يلعب دوراً كبيراً في تأييد حركات الجهاد في ليبيا، بل إنه كان يتولى تهريب الأسلحة والمؤن والقادة لمقاومة الغزو الإيطالي لليبيا ومساعدة المجاهد الكبير الزعيم عمر المختار .

صعوده السياسي و التنفيذ بعد ثورة ١٩١٩

مع نجاح ثورة ١٩١٩ و صدور الدستور ونجاح سعد زغلول باشا في استصدار قرارات العفو عن المسجونين والمنفيين عاد محمد صالح حرب باشا إلى ممارسة السياسة ، بل إنه فاز بمقعد في برلمان ١٩٢٦ الذي أجريت انتخاباته في ظل الائتلاف بين الوفد و الدستوريين والحزب الوطني ، وظل محتفظا به حتى ١٩٣٠ حيث حل إسماعيل صدقي باشا البرلمان .

وكيلا لمصلحة السجون

أصبح محمد صالح حرب باشا وكيلا لمصلحة السجون ما بين ١٩٣٠ و ١٩٣٩ .

مديرا لخفر السواحل و وزيرا في عام واحد

وفي يناير ١٩٣٩ اختير ليكون مديرا لخفر السواحل وظل في هذا المنصب حتى أغسطس ١٩٣٩ حين اختاره علي ماهر باشا وزيرا للدفاع في وزارته الثانية التي استمرت في الحكم ما بين أغسطس ١٩٣٩ و يونيو ١٩٤٠ مواكبة بدايات الحرب العالمية الثانية و ما صاحبها من توتر في الجبهة المصرية التي كان من المفترض أنها من جبهات الحلفاء .

قيمة توليه الوزارة

كان تولي محمد صالح حرب باشا وزارة الحربية بمثابة ضربة حظ مواتية أثبتت النجاح السياسي و المعنوي للحركة الوطنية والاتجاهات الأصيلة و الأصولية فيها ، وقد تمكن محمد صالح حرب بمعونة علي ماهر باشا من تكوين ما سمي بالجيش المرابط الذي أسندت قيادته إلى زميله الوزير عبد الرحمن عزام باشا ، كما أن صالح حرب دعم توجه الملك فاروق والشيخ المراغي وعلي ماهر الداعي إلى تجنيد مصر ويلات الحرب ، بل وعدم الانحياز إلى بريطانيا وكان من الطبيعي أن تسعى حكومة بريطانيا إلى الخلاص من هذه الوزارة المصرية بكل ما تمثله من توجهات معادية للبريطانيين .

مسابقة الأناشيد العسكرية

ومما يُذكر أن الحماس الوطني الصادق دفع محمد صالح حرب باشا إلى إجراء مسابقة من أجل نظم الأناشيد العسكرية فتقدم لهذه المسابقة ٨٠٠ نشيد واختيرت أربعة أناشيد فقط للشعراء : محمد الأسمر ، وعبد الفتاح شلبي ، ومحمد الحناوي، ومحمد عبد المنعم.

جمعية الشبان المسلمين

على سعيد مواز أصبح اسم محمد صالح حرب بمثابة أيقونة للإخلاص الوطني والأصالة والإسلام وهكذا فإنه كان هو المرشح الطبيعي لرئاسة جمعية الشبان المسلمين في ١٩٤٠ بعد وفاة مؤسسها عبد الحميد سعيد الذي ترأسها منذ تأسيسها في ١٩٢٧ وحتى وفاته ومما لا يذكره التاريخ المصري أيضا أن محمد صالح حرب ظل رئيسا لحرية الشبان المسلمين ٢٧ عاماً منذ ١٩٤٠ وحتى وفاته في ١٩٦٧ .

الانطباعات عنه في الحرب العالمية الثانية

في اثناء هذا كله وكنتيجة طبيعية له تداولت المخابرات العالمية والغربية روايات كثيرة عن رصدها ورصد عملائها لأنشطة وتحركات كثيرة لمحمد صالح حرب في مناصرة المحور ضد الحلفاء ، وكانت السلطات البريطانية ترتاب بحكم حساسيتها من حركات الجهاد الوطني وبخاصة إذا ما ارتبطت بالفكرة الإسلامية وهكذا تضاعفت احتجاجات البريطانيين على وجود محمد صالح حرب (وهو الضابط الكبير المعروف بعذائه للانجليز) في قلب القاهرة إلى جوار مركز الأحداث ، ولهذا فإنها طالبت مرارا باعتقاله بحكم نصوص المعاهدة و التحالف لكن النحاس باشا اكتفى بتحديد إقامته في أسوان طيلة ما تبقى من وقت الحرب (١٩٤٢ - ١٩٤٥).

مع الإخوان وفلسطين

وفيما بعد الحرب العالمية الثانية بدأ الجهاد من أجل فلسطين وكان محمد صالح حرب أحد نجوم هذا الجهاد.. كذلك فقد كان محمد صالح حرب متعاطفا إلى أقصى حد مع حركة الإخوان المسلمين ولم يبخل عليها بكل الإمكانيات المتاحة في مقر

جماعة الشبان المسلمين كما كانت تربطه صداقة متينة بالإمام الشهيد حسن البنا وكان حريصا على الدوام على التعبير عن إعجابه به و بإنجازه الفكري .

استضافة مؤتمر الاخوان في ١٩٤١

و حين اعترضت وزارة حسين سري باشا على عقد الإخوان لمؤتمرهم السادس (١٠ يناير ١٩٤١) وكان المؤتمر كعادة الاخوان يعقد في ثالث أيام عيد الأضحى المبارك فإن صالح حرب باشا استقبل مسيرتهم في الشباب المسلمين بعد عودتهم من صلاة الجمعة في الأزهر الشريف.

تكريمه

لا يزال اسم محمد صالح حرب بحاجة إلى التكريم، ولا تزال معركة وادي ماجد في حاجة إلى التكريم، على الأقل بأن يطلق اسمها على محطة من محطات مترو الأنفاق في مصر اقتداء بالتقليد الذكي في مترو باريس الذي يخلد معركة بير حكيم بالموازاة لمعارك ستالنجراد وغيرها

الباب الثاني : الوفديون

الفصل الخامس : فؤاد سراج الدين باشا

الزعيم الذي أحيا السياسة بعد أن أماتتها الثورة

مكانته في التاريخ الوطني

سأبدأ بصدمة كهربية فأقول: إن المؤرخين المعاصرين لم يخطئوا في حق أحد كما أخطأوا في حق فؤاد سراج الدين (١٩١٠ - ٢٠٠٠)، وليس معني هذا أنهم صوروه شيطانياً علي حين أنني أتصوره ملاكاً ولا العكس، وإنما الحقيقة التي هي لب الكتابة التاريخية والنقدية، أن سراج الدين هوجم في كثير من الأحيان بطريقة بدائية اعتمدت فقط علي استغلال الانطباع الأول لدي الجماهير عنه، فهو رجل ثري متنعم مدخن للسيجار، ومن ثم صورت شخصيته علي نحو سريع مناقض تماما للحقيقة التاريخية إلي درجة أن الجوانب الملائكية في شخصيته صورت علي أنها جوانب شيطانية، وفي المقابل صورت الجوانب الشيطانية في شخصيته علي أنها جوانب ملائكية، وربما نكون أحوط في تعبيرنا فنغير العبارة السابقة إلي عبارة أشد اتزاناً ونقول: إن الجوانب الإيجابية من شخصية فؤاد سراج الدين قد صورت بطريقة سلبية، وإن الجوانب السلبية في شخصيته قد صورت بطريقة إيجابية، ومع هذا فإني لا أزال أكثر ميلا إلي الجملة الأولى التي تستعمل ألفاظ المخلوقات بدلاً من ألفاظ الشحنات والاتجاهات.

توجهاته الاشتراكية

كان فؤاد سراج الدين باشا صاحب توجه اشتراكي واضح، وفي عهده كوزير للشئون الاجتماعية خرجت تشريعات كثيرة مهمة لصالح العمال، منها قوانين نقابات العمال نفسها، ولو قارن أي باحث منصف بين روح تشريعات نقابات العمال وروح أي قانون وضع في عهد ثورة ١٩٥٢ وفي ذروة المد الاشتراكي، لرجحت أمامه كفة القوانين التي وضعت في عهد فؤاد باشا سراج الدين.

وقد قيل - علي سبيل المثال - ولا يزال يقال إن فؤاد سراج الدين انحاز إلي طبقة

كبار الملاك باعتباره منهم، لكن الحقيقة أن فؤاد سراج الدين لم ينحز إلي طبقة كبار الملاك بقدر ما انحاز إلي الشعب، فقد فرض سراج الدين ضرائب تصاعديّة علي كبار الملاك، واشتط في هذا الاتجاه حتى إنه فرضها بأثر رجعي.

ومع هذا فإننا لا نستطيع اليوم في سنة ٢٠١٨ أن نفرض ما يماثلها، بل علي العكس، فإن الشائع المؤكد الموثق عند الجماهير - وربما يكون هذا الشائع خطأ - أن كبار المستثمرين ورجال الأعمال لا يدفعون ضرائب أبداً لأنهم لا يكفون عن الاستفادة من قوانين الاستثمار التي تعفي من الضرائب، ويحتالون علي هذا الإعفاء مرة بعد أخرى بإعادة تأسيس الشركات وإعلان إفلاس الشركات القديمة ونقل النشاط و ما إلي ذلك كله من الوسائل المقننة لتجنب دفع حقوق الدولة وهو ما لم يحدث أبداً مع سراج الدين ولا عهده حتى إن المرة الوحيدة التي ثارت فيها هذه الشبهة ظلت بمثابة فضيحة تلاحق وتدين المليونيير الكبير عبود باشا .

هو الذي حارب من أجل حرية الصحافة

تكرر الأدبيات التاريخية القول بأن فؤاد سراج الدين كان علي علاقة حسنة بالملك وبالقصر، ومن المذهل أننا حين نقرأ ما هو منقول عن محاضر مجلس الوزراء فيما يتعلق بأزمة قوانين تقييد حرية الصحافة فيما يتعلق بحماية الذات الملكية من العيب، نجد أن عميد الأدب العربي (والصحفي) الدكتور طه حسين كان مع وزراء كثيرين من أنصار تقييد حرية الصحافة، علي حين كان فؤاد سراج الدين ومحمد صلاح الدين باشا مع الزعيم مصطفى النحاس فقط ضد هذا التقييد، وضد هذه القوانين، ومع هذا فإن كتابة التاريخ من الانطباعات والشائعات تنتصر في مصر علي كتابته من المحاضر والمواقف المسجلة علي نحو لا يقبل اللبس.

موقفه من الإصلاح الزراعي

أنتقل سريعاً إلي ما حدث بعد أن قامت الثورة وأرادت تطبيق الإصلاح الزراعي بالنموذج الذي كان في ذهن رجالها، وبالأخص في ذهن جمال سالم، فقد وافق الوفد والنحاس وسراج الدين علي المبدأ وحاولوا تقديم بعض النصائح، فلما وجدوا أن الثورة مصممة علي رأبها وافقوا لها على ان تمضي في طريقها ، وفي مقابل هذا

فإن رئيس الوزراء الأول في عهد الثورة وهو الرجل الذي اختارته الثورة بمحض إرادتها وهو علي ماهر باشا لم يوافق، مما أدى إلي تسريع استقالته.

أول من بذر فكرة الاستعانة بالاكاديميين

لكن فؤاد سراج الدين باشا كان في المقابل - للأسف الشديد - أول مَنْ وضع البذرة التي سارت عليها ثورة ١٩٥٢ بعد ذلك في الإكثار ما أمكن من الوزراء التكنوقراطيين دون أي تأهيل سياسي.

وقد مرت هذه الظاهرة مرور الكرام وقتها، ولم ينتبه أحد إلي خطورة ما فعله سراج الدين حين ساعد علي الدفع بوجوه تكنوقراطية كثيرة إلي وزارة الوفد الأخيرة، وقد عاني الوفد نفسه من قصر نظر هذه الوجوه وتقلب سياساتها، ثم ضجيج دعاياتها التي ليس لها أي نصيب من الصحة.

مشكلة الدكتور زكي عبد المتعال

وسنضرب مثلاً واحداً وواضحاً علي هذا، وهو الدكتور محمد زكي عبد المتعال باشا ذلك الأستاذ الجامعي الذي تقرر بمشورة سراج الدين أن يكون وزيراً للمالية ، رغم انه لم يكن قد تمرس لا بالوزارة ولا بالسياسة ولا بالوطنية ، ولم يكن هناك ما يدعو إلي إيثاره بهذا المنصب بينما الوفد حافل بالكفايات.

وكانت النتيجة أن هذا الوزير التكنوقراطي الذي بُشر به كان بمثابة أكبر معول في محاولة هدم الوفد بعد الثورة إلي الدرجة التي ضج منها رئيس محكمة الثورة نفسه، وهو أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة عبد اللطيف البغدادي، وذكر البغدادي في حديث له في مجلة «نصف الدنيا» ١٩٩٦ أنه اضطر إلي أن يحكم عليه حكماً رومانياً بإسقاط صفة المواطن عنه لما رآه من تحامله بلا مبرر علي فؤاد سراج الدين.

والأدهى من هذا أن هذا الوزير «الألمعي» ترك وزارة الوفد ثم انضم بعدها مباشرة ليكون وزيراً في وزارة علي ماهر. ولم يتوقف هذا الوزير «الألمعي» عند هذا الحد، بل إنه قبل العمل في الوزارة التالية أيضاً وهي وزارة أحمد نجيب الهملاي باشا، ولم يقف عند هذا الحد أيضاً، بل قبل العمل في وزارة حسين سري الأخيرة.

وهذا يدلنا علي مدى ما كان يتمتع به هذا الرجل من قابلية لارتداء كل الأثواب بعدما ذاق طعم الوزارة علي يد الوفد.

النماذج الممتازة التي دفع بها

وفي المقابل فإننا لا نستطيع أن نجد واحداً من كبار الملاك دفع به سراج الدين إلي الصفوف المتقدمة في الوفد، بينما نجد نماذج حقيقية لكفاءات متميزة كان لسراج الدين فضل اكتشافها و النموذج الأمثل الذي يعرفه الناس لهؤلاء هو عبد الفتاح حسن باشا فهو قانوني قدير، وتنفيذي ناجح، وقد أثبت نجاحاً منقطع النظير في مراحل متعددة من حياته، وهو دليل علي أنه كان في وسع سراج الدين أن يبحث عن نماذج أكثر إضاءة من نموذج التكنوقراطيين الذي قلده الثورة فيما بعد ذلك.

ملك التحالفات السياسية

كان الساسة الذين لا يرتاحون إلي فؤاد سراج الدين يميلون إلي وصفه بالقول المتداول في التقليل من شأن الزعماء وهو أنه كان رجل سياسة أكثر منه رجل دولة ، لكن مرور الزمن أثبت ضعف هذا الرأي ، و لعل السبب في توارده هذا الرأي لفترة من الزمن أن أبرز الأخلاق السياسية التي استسهل أصحابها انتقاد فؤاد سراج الدين فيها كان هو ميله إلي التحالفات السياسية و أن هذه التحالفات كانت في الغالب تحالفات مرحلية، وليس هذا مما يعيب السياسيين، لكن المشكلة أن الوفد بتاريخه لم يرحب بهذه التحالفات، ولم يمارسها بعد الانتهاء المؤلم لتحالف الوفد مع الأحرار الدستوريين في ١٩٢٨ علي يد محمد محمود باشا وإقالة وزارة مصطفى النحاس بكتاب الملك الشهير الذي قال فيه الملك: «نظراً لأن الائتلاف الذي تستند إليه الوزارة قد تصدع»!

تحالفه مع الإخوان في ١٩٨٤

وقد ظل سراج الدين محتفظاً بهذا الخلق القادر على التحالف المحسوب إلي ما بعد ثورة ١٩٥٢ بثلاثين عاماً وقد مارس سراج الدين التحالفات بصورة واضحة في الانتخابات البرلمانية ١٩٨٤ حين انضم مرشحو الإخوان المسلمين تحت مظلة الوفد، وقبل هذا فإن سراج الدين في تأسيسه لحزب الوفد الجديد رحب بل إنه رشح

عدداً من قادة الاتجاهات الوطنية البارزة وحثهم علي الانضمام للحزب ، وكان من الإسلاميون و الاشتراكيون وأنصار الأحزاب التي انشقت عن الوفد من أمثال السعديين.

تحالفاته في تأسيسه للوفد

وعلي سبيل المثال فإن الدكتور محمد حلمي مراد الأمين العام لحزب العمل الاشتراكي فيما بعد، كان أحد نواب رئيس حزب الوفد الجديد عند تأسيسه، و كذلك كان الشيخ صلاح أبو إسماعيل عضو مجلس الشعب وقتها يحتل موقعاً متميزاً في الهيكل التنظيمي للوفد الجديد، بل إن الأكثر من هذا أن فؤاد سراج الدين عرض رئاسة حزب الوفد الجديد علي إبراهيم باشا عبد الهادي رئيس الوزراء الأسبق و الرئيس السابق لحزب الهيئة السعدية ، وربما كان له في هذا ما يبرر منطقه الذكي ، فقد كان إبراهيم عبد الهادي رئيساً للجنة الشباب الوفدية في أثناء ثورة ١٩١٩ ، لأنه كان زعيم الطلبة !! لكن يبدو أنه لم يكن بقي أي قدر من تقبل السياسة في نفسية ذلك الرجل الذي تعرض لحكم انتقامي بالإعدام في أول عهد الثورة.

حرصه على جذور الماضي القريب

بل إن حزب الوفد الجديد علي الحالة التي تركه عليها فؤاد سراج الدين عند وفاته كان ينبئ عن هذا المعني بصورة واضحة، فإن الأمين العام سعد فخري عبدالنور هو ابن فخري عبدالنور أحد أعضاء الوفد البارزين الذين تركوا الوفد في الانشقاق المعروف بانشقاق السبعة ونصف، كما أن رئيس لجنة الوفد في أسبوط هو ابن أحد قيادات الأحرار الدستوريين عبدالمجيد إبراهيم صالح.. وهكذا .
هكذا يمكن لنا أن نقدر بعض مزايا فؤاد سراج الدين التي لم تحظ بالإنصاف حتى الآن .

الانتقادات الشهيرة لمواقفه

لكننا على النقيض من هذا نستطيع القول بأن سراج الدين في ذروة مجد الوفد القديم سمح بتصرفات قد لا نستطيع ابتلاعها له ولا المرور عليها دون توجيه النقد له فيها على الرغم من أنه بلغة السياسة لم يكن مخطئاً ولا متجاوزاً :

- أليس هو الذي قال في مجلس الشيوخ إنني أري كرسي الرئاسة يهتز، وبعدها صدر المرسوم الذي أزاح الدكتور محمد حسين هيكل من رئاسة الشيوخ، وأخرج من المجلس أعضاء ذوي قيمة كبيرة. ومع هذا فإن الدكتور هيكل باشا نفسه شهد أمام محكمة الثورة بأن أداء سراج الدين كان مشرفاً للحياة النيابية والدستورية.
 - أليس هو الذي سمح بالأوضاع التي دفعت مجموعة من الساسة المعارضين (وعلي رأسهم إبراهيم عبدالهادي ومحمد حسين هيكل) إلى كتابة عريضتهم الشهيرة للملك فاروق في ١٩٥١ و مع هذا فإن أحداً من هؤلاء الساسة لم يلق أي عنت بسبب مشاركته في هذه العريضة.
 - ألم يكن هو الذي يدير المعارك الانتخابية بالطريقة التي تستأصل وجود شخصية من طراز عبدالرحمن الرافعي في عضوية مجلس الشيوخ، لا لشيء إلا لمجرد أنه من الحزب الوطني، وقد وصل الأمر به أن يجعل نائب فارسكور في البرلمان محمد عبدالرحيم سماحة باشا يستقيل ليرشح نفسه لعضوية الشيوخ وليفوز علي عبدالرحمن الرافعي! ومع هذا فقد أوردنا في أكثر من موضع من كتبنا أن الرافعي بانقطاعه عن الدائرة ومواطنيتها لم يكن قادراً على الفوز على مرشح تقليدي من طراز سماحة باشا.
- هل يمكن لنا أن نقول في تفسير مثل هذا التناقض إن سراج الدين كان حريصاً في سن الحكمة علي أن يجعل جماعته الحزبية التي يتولى أمرها استيعابية أكثر من أن تكون استبعادية؟ علي حين كان حريصاً في سن الشباب علي العكس من هذا. ربما..

أخلاقه العالية

علي أن أبرز ما في شخصية سراج الدين كان خلقه الأسر، وقد ظل سراج الدين قابضاً علي هذا الخلق النادر علي الرغم من أن ظروف الحياة كانت تدفع إلي التخلي عن كثير من تكوينات الخلق الكريم، سواء في المعاملة أو المجاملة، أو في تسيير العمل اليومي، ولكنه أثر البقاء علي ما تربى عليه فهو رقيق.. مهذب.. هادئ.. مجامل.. متفهم.. جيد الاستماع.. حريص علي المجاملة وعلي إضفاء كل لمساة الرقة والنبيل والشموخ علي معاملاته.

وقد مكن الأداء التنفيذي لفؤاد سراج الدين في حزب الوفد الجديد وفي جريدة الوفد أبناء الجيل الجديد من أن يعرفوا صورة شبه مثالية للأداء التنفيذي الناجح، مقارنة بما كان الجيل الجديد يراه من فساد الإدارة وتحيزها للأغراض الشخصية، والمنافع قصيرة الأجل التي تعود علي أصحابها، وتهمل الصالح العام، وهو للأسف الشديد الأسلوب السائد في إدارة القطاع العام، وبخاصة بعد إسناد أموره إلي أهل الثقة.

نموذج النزاهة والنجاح

أما سراج الدين فقد نجح من خلال جريدة أسبوعية واحدة أن يحق مكاسب مادية حقيقية كونت رأسمالا كفيلا بشراء قصر كبير للحزب وللجريدة، فضلا عن ودائع ثابتة في البنوك باسم الحزب والجريدة، فضلا عن هذا فسرعان ما استطاعت الجريدة الصدور بصورة يومية منتظمة دون أزمات في التحرير أو التمويل، وهكذا أدرك الناس بغير كثير من الضوضاء كيف يمكن للإدارة الناجحة النزاهة أن تحقق المعجزات دون معونة حكومية، بل بالعكس أن تفعل هذا وهي في المعارضة، وهكذا تجسد للجيل الجديد نموذج كفيلا بأن يصور لهم كيف كانت إدارة الوفد للأمور إدارة ناجحة ومحققة للأهداف دون عبث الشعارات.

الفصل السادس : علي زكي العرابي باشا

الذي ابتدع المصطلح القائل بأن البرلمان سيد قراره

معنى مصطلح سيد قراره

من المصطلحات التي سطا عليها بعض رموز عصر الرئيس مبارك المصطلح القائل بأن البرلمان سيد قراره وأكثر من استعماله باعتزاز وكأنه هو الذي صكه وابتدعه ، ومعنى المصطلح أن البرلمان هو الذي يقرر صحة عضوية أعضائه وليس المجلس العسكري مثلاً أو السلطة التنفيذية أو السلطة القضائية متمثلة القضاء باختلاف محاكمه ، ونظراً لأن السياسي الكبير الذي كان يستخدم هذا المصطلح لم يكن يحظى بحب البرلمانين و لا السياسيين علي وجه العموم ، فإن المصطلح المسطو عليه نفسه لم يكن يتمتع بالقبول ولا حتي بفهم ملاساته ولا ميزاته ، وقد عاش الشارع السياسي المصري علي هذا الشعور حتي جاء عهد المجلس العسكري ففهم الناس قيمة هذا المصطلح وعبقريته و أهميته ، وفهموا أنه بدون هذا التوجه الحاكم في فصل السلطات الثلاث فإن البرلمان يفقد كل استقلاله لا بعض هذا الاستقلال فحسب .

قصة المصطلح

كان صاحب هذا المصطلح هو علي زكي العرابي باشا (١٨٨٢ - ١٩٥٦) وهو واحد من أهم رموز عصر الليبرالية. كان وزيراً وفدياً ناجحاً ورئيساً لامعاً لمجلس الشيوخ، و كان من حيث المولد والتخرج تالياً لزعيم الأمة مصطفى النحاس باشا بثلاث سنوات ، و قد عاش وفدياً مخلصاً وإن لم يمنع هذا من اختلافه العلمي و الفقهي في بعض القضايا مع الوفد.

وكانت أشهر هذه الآراء الفقهية الحاسمة التي اختلف فيها مع سياسة الوفد آراؤه الخاصة بالقضايا التي أثيرت حول عضوية البرلمان، حيث كان الأمر سجالاتاً بين الوزارات الوفدية ووزارات حسين سري باشا (١٩٤١) وأحمد ماهر باشا (١٩٤٤) وإسماعيل صدقي باشا (١٩٤٦)، ومع أن علي زكي العرابي باشا كان وفدياً أصيلاً

بل و رئيس مجلس الشيوخ الوفدي فقد كان رأيه في ظاهره علي خلاف رأي الوزارة الوفدية.

قيمه السامقة في وضع القوانين

كان علي زكي العرابي باشا من أبرز القانونيين في جيله، وكان أحد ثلاثة من شيوخ القانون تولوا إعداد مشروعات القوانين المصرية بعد إلغاء المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية، وقد تولي إعداد مشروعات القوانين الجنائية علي حين تولي الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا إعداد القانون المدني، وتولي محمد حسن العشماوي باشا إعداد قانون المرافعات.

نشأته و تكوينه

ولد علي زكي العرابي باشا في محلة أبو علي سنة ١٨٨٢، وتلقي تعليماً مدنياً متميزاً وعرف بنبوغه وهو طالب في الحقوق حيث كان يترجم المحاضرات عن الإنجليزية ويوزعها علي زملائه.

تخرج علي زكي العرابي باشا في مدرسة الحقوق (١٩٠٣)، وعمل بالمحاماة وتلقي تدريبه الأولي علي المحاماة في مكتب خاله، ثم عمل مدرساً للقانون بمدرسة الشرطة، ثم اختير أستاذاً بكلية الحقوق (١٩٢٠)، ثم عين قاضياً بالاستئناف. انضم للحركة الوطنية في ثورة ١٩١٩، وظل طيلة حياته علي ولائه للوفد، وقد انتخب عضواً في الهيئة العليا للوفد في نهاية الثلاثينيات.

مناصبه الوزارية

عين علي زكي العرابي باشا وزيراً للمعارف في وزارة النحاس باشا الثالثة (مايو ١٩٣٦ - يوليو ١٩٣٧)، وكان هذا أول عهده بالمناصب الوزارية. ثم تولي علي زكي العرابي باشا وزارة المواصلات في ثلاث وزارات أخرى رأسها النحاس باشا، فتولاها في وزارة النحاس الرابعة (أغسطس ١٩٣٧ - ديسمبر ١٩٣٧)، ثم في وزارته الخامسة (فبراير ١٩٤٢) وحتى ١٤ مايو ١٩٤٢ فقط، حيث اختير رئيساً لمجلس الشيوخ، وعاد ليتولى وزارة المواصلات للمرة الثالثة في وزارة الوفد الأخيرة (١٢ يناير ١٩٥٠) وحتى ٩ يوليو ١٩٥٠ فقط، حيث اختير مرة أخرى رئيساً لمجلس الشيوخ.

الباشوية

كان علي زكي العرابي باشا ممن نالوا الوزارة و الباشوية معا ، حيث نال رتبة الباشوية ضمن عدد من وزراء الوفد القدامى والجدد في ١٩ مايو ١٩٣٦ ، في أثناء فترة مجلس الوصاية على الملك فاروق ، وقد صادف هذا التاريخ تشكيل وزارة النحاس باشا الثالثة التي جاءت نتيجة فوز الوفد في الانتخابات البرلمانية التي أُجريت ١٩٣٦ .

وهؤلاء الوزراء الوفديون الذين نالوا الباشوية هم:

- مكرم عبيد باشا (الذي تولي الوزارة لأول مرة في ١٩٢٨)
- محمود فهمي النقراشي باشا (الذي كان تولي الوزارة لأول مرة في ١٩٣٠)
- ثم أربعة كان هذا أول عهدهم بالوزارة وهم:
- محمود غالب باشا
- علي زكي العرابي باشا
- عبد السلام فهمي جمعة باشا
- أحمد حمدي سيف النصر باشا

علاقته بالرئيس عبد الناصر

تراوحت علاقة علي زكي العرابي باشا بعهد الثورة ما بين الكراهية العميقة التي كانت تشعر بها الحركة تجاه كل الساسة ، وما بين إظهار التقدير الواضح من أجل الاستمالة ، وإحداث انشقاق بزعامته في داخل الوفد وهو ما لم يحدث بفضل ذكاء علي زكي العرابي باشا و وطنيته .

كان الرئيس جمال عبد الناصر نفسه يظهر للصحافة أنه يحبه، وأنه يستعين برأيه، ومن العجيب أنه اختير كذلك عضواً في لجنة وضع الدستور كمتثل اختارته الثورة للوفد وذلك علي الرغم من أنه خضع لقوانين العزل السياسي باعتباره من وزراء ما قبل الثورة.

القصة الخيالية عن انقلابه في حرب ١٩٥٦

توفي علي زكي العرابي باشا في ربيع ١٩٥٦ لكن المثير أو الطريف أو العجيب أنه في أثناء حرب ١٩٥٦ وجهت أجهزة الدولة العميقة اتهاما له بأنه يتزعم جماعة ترتب لحكومة مدنية تخلف العسكريين وتعزل الرئيس جمال عبد الناصر من أجل إنقاذ مصر من دمار حرب ١٩٥٦ ، وكان هذا الهاجس مستوليا على الرئيس عبد الناصر من خلال مقابلاته مع الأمريكيين و مندوبيهم ، و هكذا صدرت الأوامر بمحاصرة بيته لضبط المؤامرة بينما كان العرابي باشا نفسه قد توفي منذ أكثر من ستة شهور.

الخطأ الشائع في اسمه

نظرا لأن تركيبة اسم علي زكي نادرة فإنه يحدث الخلط في اسمه كثيرا ، ومن الطريف أن موسوعة الأعلام التي أصدرتها وكالة أنباء الشرق الأوسط كتبت نبذتين عن شخصيته في موضعين مختلفين / في حرف الزين وحرف العين مع تناقض النبذتين تماما في التواريخ والأحداث.

ذريته

هو والد الأستاذين محمد زكي العرابي رئيس البنك الوطني للتنمية، وفؤاد العرابي الوكيل الأول السابق لوزارة الثقافة. أما انتة فكانت زوجا لأستاذنا المحبوب الدكتور أحمد البنهاوي عميد كلية طب عين شمس .

آثاره العلمية

- «مركز الوارث في الشريعة ونتائجه في القانون» ، القاهرة، مطبعة الشعب، ١٩١٣.

في القانون الدستوري

- «عضوية البرلمان»، القاهرة، ١٩٤٩.

آثاره العلمية في القانون الجنائي

- «شرح القسم العام من قانون العقوبات وجرائم القتل والجرح والضرب»، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٢٥.
- «قانون تحقيق الجنايات والتعديلات الطارئة عليه والقوانين المرتبة به لغاية أول نوفمبر سنة ١٩٢٦»، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٦.
- «القضاء الجنائي» جمع وتلخيص وترتيب علي زكي العرابي، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٢٦، من جزأين في ثلاثة مجلدات.
- «المبادئ الأساسية للإجراءات الجنائية» شرح قانون الإجراءات الجنائية رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠ الصادر بتاريخ ٣ سبتمبر ١٩٥٠، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٢.
- «المبادئ الأساسية للتحقيقات والإجراءات الجنائية»، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩ / ١٩٤٠، من جزأين في مجلدين.
- «مذكرات في قانون تحقيق الجنايات»، القاهرة، مطبعة الاعتماد، ١٩٢٠.

الفصل السابع : محمد صبري أبو علم باشا

الرجل الذي تعانق الخصوم في جنازته

بطل استقلال القضاء

في تاريخ مصر الحديث و المعاصر رجلا ن لم يعملوا قاضيين لكنهما بذلا أصدق الجهد من أجل استقلال القضاء حتى إنه يمكن لكل منهما أن يستحق لقب بطل استقلال القضاء ، الرجلان هما محمد صبري أبو علم باشا والدكتور فؤاد محيي الدين . و صحيح أن صاحب فكرة الاستقلال والمحقق الأول لها هو النحاس باشا لكن صبري أبو علم كان وهو وزير للعدل صاحب فضل كبير في تحقيق هذه الفكرة ، وهو الذي استصدر كادراً خاصاً لرجال القضاء، كما أنه هو الذي أعد قانوناً باستقلال القضاء ،وهو الذي تمت نشأة نادي القضاة في عهده ، و يذكر القضاة له بامتنان مكرمات كثيرة حين تولي وزارة العدل مرة بعد أخرى .

كان محمد صبري أبو علم باشا بطل استقلال القضاء (١٨٩٣ - ١٩٤٧) نموذجاً بارزاً من نماذج رجال الوفد الكبار الذين تمتعوا بالعلم والفكر والثقافة والموهبة والأداء المهني المتفوق، وحب الجماهير، وحب الزملاء، وتقدير الرأي العام. وطيلة حياته القصيرة كان أبو علم محامياً بارزاً، ونقيباً للمحامين ، وكان رجلاً من رجال القانون المعدودين المؤثرين.

نشأته

ولد محمد صبري أبو علم بالمنوفية، وتلقي تعليماً مديناً، وشارك في الحركة الوطنية منذ كان طالباً بمدرسة الحقوق، واشترك في إضراب طلبة تلك المدرسة عند زيارة السلطان حسين كامل لها فعوقب بالفصل من تلك المدرسة العليا ، وكان من المقترض أن يتخرج عام ١٩١٥ فتأخر إلي عام ١٩١٦ . شارك محمد صبري أبو علم في ثورة ١٩١٩ وكان من أنبغ شبابها قدرة على التنظيم والحشد والعمل الجماهيري .

نشاطه الثقافي

يذكر له تاريخنا الثقافي في تلك الفترة أيضا إسهامه في لجنة التأليف والترجمة والنشر مع أحمد أمين وأحمد زكي وأبو حديد وأقرانهم .

عضوية البرلمان المبكرة

وعقب ثورة ١٩١٩ بزغ نجم محمد صبري أبو علم في تنظيمات الوفد كلها وعلى سبيل المثال فقد انتخب عضوا في أول برلمان وفدي ١٩٢٤ .

إخلاصه للمحاماة

عمل محمد صبري أبو علم منذ تخرجه بالمحاماة ولمع نجمه بإخلاصه وسلوكه ودأبه وخلقه الرفيع ، و توج هذا بأن انتخب نقيباً للمحامين (١٩٣٢) ويعد هذا التتويج مواكبا لمرحلة مبكرة من ممارسته للمهنة إذا ما قورن بأسلافه.

خلف مكرم عبيد سكرتيراً عاماً للوفد

وحين انشق مكرم عبيد عن الوفد أصبح هو المرشح المفضل سكرتيراً عاماً للوفد منذ ١٩٤٣ ، واستطاع في برهة قصيرة أن يملأ تماما ما ظن أنه الفراغ الذي سينشأ عن خروج مكرم عبيد علي الوفد، فقد كان أبو علم رجل دولة وسياسة وحزب وجماهير كما كان حيا حيا منجزا مخلصا ملتزما محبوبا ، وظل يشغل هذا المنصب حتي توفي في سن مبكرة.

لقاء النحاس باشا و مكرم باشا في جنازته

ومن طرائف التاريخ أن النحاس ومكرم حضرا جنازته وهما في قمة خصومتها فوجدا نفسيهما يتعانقان، وكان في تعانقهما دليل علي مكانة هذا الرجل الكبيرة في نفوس من يعرفونه و ما استدعاه الإيمان من الشعور بزوال الدنيا ولوعة الفراق .

تولييه وزارة العدل

تولي محمد صبري أبو علم باشا وزارة العدل ثلاث مرات طيلة ثلاث وزارات رأسها مصطفى النحاس باشا، وذلك في وزارته الرابعة (يوليو - ديسمبر ١٩٣٧) ،

والخامسة (فبراير -مايو ١٩٤٢)، والسادسة (مايو ١٩٤٢ - أكتوبر ١٩٤٤).

الباشوية

نال محمد صبري أبو علم الباشوية في ١٢ مايو ١٩٤٢ في مناسبة ذكرى تولى الملك فاروق الحكم ، وذلك ضمن خمسة وزراء وفديين كان منهم احمد نجيب الهلالي باشا و عبد الفتاح الطويل باشا و كان أحدثهم هو فؤاد سراج الدين باشا ومن الطريف أن مكرم عبيد كان حريصا على أن يشير في الكتاب الأسود أن النحاس باشا حرص على منح هؤلاء الباشوية في ذلك اليوم قبل التغيير الوزاري الذي تم في اليوم التالي الذي خرج فيه مكرم نفسه من الحكم ، وكأنه يريه أنهم أدركوه في الباشوية ، و لم يمنحوها بعد خروجه ، و قد ذهب مكرم إلى تفسير الامر على أنه مزية لسراج الدين باشا قبل أن يلحق به الوزراء الجدد الذين عينوا في اليوم التالي و من غرائب القدار أن الوزير الذي خلف مكرم باشا في منصب وزير التموين وهو أحمد حمزة باشا لم ينل الباشوية إلا في ١٩٥١ ..

إيمانه بالعدالة الاجتماعية

كان بالإضافة إلى هذا من الأثرياء المؤمنين بأهمية العدالة الاجتماعية ، وكان سابقا في هذا التوجه على فؤاد سراج الدين باشا ، ويذكر له أنه وهو عضو في مجلس الشيوخ (١٩٤٥) كان حريصا على أن يثبت أنه لا يعارض مشروع فكرة إصدار قانون بتحديد الملكية الزراعية.

جريدة صوت الأمة

كان محمد صبري أبو علم باشا كذلك صاحب امتياز صحيفة «صوت الأمة» الوفدية.

إلغاء الامتيازات الأجنبية.

و كان محمد صبري أبو علم باشا واحدا من كبار قانونيي الوفد الذين شاركوا في إعداد مشروعات قوانين إلغاء الامتيازات الأجنبية.

الدكتور محمود كامل يصف شخصيته

وصفه الدكتور محمود كامل في فصل من فصول كتابه «يوميات محام»، وصفا جميلا وقد صاغ هذا الوصف حين كان لا يزال أبو علم حيا فقال: «واشتغل بالمحاماة وانتخب لعضوية أول مجلس نواب مصري، وظل - إلي جانب الشعب - يدافع عن حقوقه محاميا، وكاتباً».

"ورغم الخلاف السياسي بينه - كوفدي - وبين عبد العزيز فهمي باشا الذي كان قد خرج علي الوفد وزعيمه، فإن عبدالعزیز فهمي لم يسعه - في عهد وزارة إسماعيل صدقي باشا التي عطلت الدستور وطاردت الوفديين - في أثناء نظر قضية سياسية تقدم محمد صبري أبو علم بمذكرة فيها إلا أن يسجل في محضر الجلسة أن تلك المذكرة نموذج لأداء المحامي الممتاز».

"وقد وصفه زميل بأنه: «مالك لتصرفاته، ضابط لحركاته وسكناته، يعطي من ذات نفسه لكل شخص بمقدار، لا تغلت منه الأقوال، وإنما يزنها بميزان، ولا تطيش إرادته، فكأنه يقيس كلماته وخطواته بمسطرة، خطيب يعرف لكل موقف ما يناسبه من المقال.. ويفهم نفسية سامعيه فيرسل حديثه إلي قلوبهم دون وساطة من بهرج اللفظ أو حماس الانفعال".

الفصل الثامن : عبد الفتاح باشا حسن

أبرز القضاة الذين تحولوا إلى رجال دولة

كان عبد الفتاح باشا حسن نموذجاً للكفاءة الوطنية القادرة على أداء كلّ المهام السياسية بأمانة واقتدار وهدوء، وربما يُمثل هذا الرجل أكبر دليل على عداوة ثورة يوليو ١٩٥٢ للكفاءات الوطنية التي عملت بالسياسة أو بالحزبية بسبب كفاءاتها وليس لأيّ سبب آخر، فقد لقيَ هذا الرجل من عنق الثورة مراحل متعاقبة من العقاب غير المبرر حتى توفي في مطلع عهد الرئيس حسني مبارك، وقد شهدته في نهاية حياته مريضاً مثالياً هادئاً محبوباً يتعلق ذووه وعارفوا فضله ومُحبّوه به ويتمنون لو أن عمره طال بعض الشيء.

هو من الجيل الذي ولد في أول القرن العشرين (١٩٠٢) وتخرّج في كلية الحقوق (١٩٢٤) أي أنه كان (مثل فؤاد سراج الدين) يصغر عدداً من رموز عهد الثورة كالدكتور محمود فوزي (١٩٠٠) والرئيس محمد نجيب (١٩٠١) والمهندس أحمد عبده الشرباصي (١٨٩٨).

روايات عن اعتذاره عن العمل مع الرئيس عبد الناصر

وفي بعض الروايات فإن الرئيس جمال عبد الناصر كان يودُّ أن يستفيد من كفاءته ليكون وزيراً من وزراء العهد الجديد لكنه اعتذر عن تلبية رغبته، وأن هذا الاعتذار المُبكر أجمَّ الخلاف والعداوة، لكني لا أعتقد أن الاعتذار كان سبباً ولا أن قيادة الثورة كانت جادة في عرضها الاستعانة به وإنما كان العرض محاولة لهز صورة الولاء الوفدي عند أمثاله من رجال الدولة المحترمين .

بدايته في العمل التنفيذي

بدأ عبد الفتاح باشا حسن اتصاله بأجهزة الدولة الحاكمة حين انتدب لمكتب مراجعة الأحكام العسكرية ١٩٤٣ فالتقى بوزير الداخلية فؤاد سراج الدين وفي هذا اللقاء اعتذر عن العمل لأن رأيه سيُعرض على مدير الامن العام وهو شخص غير قضائي، وهو لا يعتبر هذا مما يليق به فما كان من سراج الدين الذي كان في بداية

حياته وكيلاً للنيابة (وكان تاليا لعبد الفتاح حسن في التخرج والمولد) إلا أن أبدى اقتناعه واستصدر قرار بتشكيل مكتب من مجموعة من القضاة كان عبد الفتاح حسن نفسه واحداً منهم ليتولى هذا المكتب مهمة أشبه ما تكون بمهمة وزارة الاستئناف بحيث تُعرض عليها الأحكام الصادرة من المحاكم العسكرية فيُصبح قرارها بالتصديق أو الإلغاء بمثابة قرار مُلزم للحاكم العسكري العام. وهكذا استقر هذا الوضع حتى بعد نهاية عهد الوزارة الوفدية في ١٩٤٤.

عمله مديراً لمكتب وزير الداخلية

أما عبد الفتاح حسن باشا فإنه ارتبط بالعمل مع الوفد وفؤاد باشا سراج الدين من ذلك الوقت فأصبح بإلحاح منه مديراً لمكتب وزير الداخلية، فلما ترك الوفد الحكم أصبح عبد الفتاح حسن مفتشاً للداخلية واحتفظ بهذا المنصب في وزارتي أحمد ماهر والنقراشي ثم انتقل إلى مجلس الدولة عند إنشائه في عهد إسماعيل صدقي (١٩٤٦) لكنه استقال من مجلس الدولة ٤ مايو ١٩٤٧ ليتفرغ للمحاماة.

خوضه انتخابات ١٩٥٠

وقبل الانتخابات النيابية الأخيرة في الحقبة الليبيرالية، وهي الانتخابات التي فاز فيها الوفد انضم عبد الفتاح حسن باشا للوفد وأصبح مرشحا للوفد في دائرة بسيون في مواجهة عبد الحميد الجندي مرشح السعديين، والمرشح المستقل عمر المراسي وقد تمكن بالفوز بهذه الدائرة في جولة انتخابات الإعادة.

وكيلاً لوزارة الداخلية

وفي ٢٠ مارس ١٩٥٠ عين عبد الفتاح حسن باشا وكيلاً برلمانياً لوزارة الداخلية وأصبح بمثابة الوزير التنفيذي نظراً لانشغال سراج الدين بوزارة المالية والعمل الحزبي والسياسي .

وزيراً للدولة ثم للشئون

وفي ٢٤ يونيو ١٩٥١ عُيّن عبد الفتاح حسن باشا وزيراً للدولة، وبعد ٣ شهور فقط عُيّن وزيراً للشئون الاجتماعية في ٢٤ سبتمبر ١٩٥١.

و في كل الحالات فإنه أصبح يتولّى وزارة الداخلية بالنيابة في حالات غياب فؤاد باشا سراج الدين كما كان يدير كثيراً من أمورها بالتعاون معه .

نجاحاته السياسية

يتمثل الجهد السياسي لعبد الفتاح باشا حسن في ميدانين كبيرين مهمين : ثانيهما هو تنظيم الطابع المؤسسي لعمل وزارة الداخلية من ناحية وهو جهد كبير لا يزال يلقي احترام من يعرفون فضله فيه، اما الميدان الأول فهو دوره الكبير في المقاومة الشعبية للاحتلال الإنجليزي من منطقة القناة في ١٩٥١ عقب إلغاء المعاهدة في أكتوبر ١٩٥١ وهي المقاومة التي كانت بمثابة العامل الحسم في خروج البريطانيين من مصر وإن نُسبت الأمور شكلياً إلى اتفاقية الجلاء التي عُقدت في ١٩٥٤ .

المقاومة الشعبية

كان عبد الفتاح حسن باشا يتولى رعاية العمال المصريين الموسمين الذين طلبت منهم وزارة الوفد أن يُقاطعوا العمل في معسكرات الانجليز ، وقد تكلفت وزارة الوفد بتعيين عشرات الآلاف منهم خلال أيام من تركهم هذا العمل مع المستعمر ، وهو إنجاز تنفيذي يصل إلى حدود الإعجاز في ظل سطوة البيروقراطية .

وقد كان لعبد الفتاح باشا حسن مع فؤاد باشا سراج الدين دور كبير في إتمام هذا الإنجاز الإداري غير المسبوق .

كذلك فقد نجح عبد الفتاح حسن في إتمام مقاربات ذكية للتنديد بالسياسات البريطانية في التعسف مع العمال المصريين الذي يعملون في معسكر الانجليز ، و تقدم بصفته وزيراً للشئون الاجتماعية بشكوى إلى مكتب العمل الدولي، واستدعى السلطات الدولية للتحقيق في شكواه ، وكانت النتيجة قراراً واضحاً بتجاوز الانجليز لحدود القانون في تعاملهم مع العمال المصريين.

تربص ٢٣ يوليو به

كان الرئيس جمال عبد الناصر دائم التربص بعبد الفتاح باشا حسن بمناسبة ودون مناسبة وكان الرئيس السادات كذلك بل كان أكثر تعبيراً عن خوفه من عبد الفتاح

حسن وقدراته رغم أدبه وكياسته وهدوئه، وكان الرئيس السادات يُحذر مُساعديه منه بالاسم بصوت عالٍ.

ومن الطريف أن الرئيس عبد الناصر كان إذا ما اعتراه خوف من سقوط النظام أو أراد تمرير فكرة أن هناك مؤامرة عليه، فإنه كان يُسارع إلى اعتقال عبد الفتاح حسن باشا اعتقالاً تحفظياً.

وقد حدث هذا في المسرحية المُسمّاة بانقلاب سيد قطب ١٩٦٥ مع انعدام أي علاقة لعبد الفتاح حسن بسيد قطب وجماعته، وحدث هذا عقب نكسة ١٩٦٧ أما المرة الأكثر مدعاة للأسى فكانت عقب انتهاء حرب ١٩٥٦ حيث قدم عبد الفتاح حسن ضمن مجموعة من الوفدين للمحاكمة أمام محكمة عسكرية رأسها الفريق الدجوي وحكم عليه فيها بسنوات طويلة من السجن بدون أية تهمة حقيقية.

إدراك الغربيين لكفايته

والظاهر من أوراق التاريخ ووثائقه أن الانتباه إلى قيمة عبد الفتاح باشا حسن لم يكن أمراً مصرياً خالصاً وإنما كان بمشورة من المخابرات الغربية الأجنبية التي شاركت في الإعداد لحريق القاهرة وللانقلاب العسكري (الذي نعرفه على أنه ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢) ويتضح هذا من لجوء حكومة أحمد نجيب الهلالي باشا إلى اعتقال عبد الفتاح حسن باشا في مارس ١٩٥٢ تحت دعوى المشاركة في حريق القاهرة استناداً إلى اتهامه بأنه خطب خطبة أجاج بها حماس الوطنيين ضد الإمبريالية العالمية

ومن الطريف أن التحقيق أثبت أن هذه الخطبة كانت تالية لحدوث الحريق بأيام لكن الواقعة تدلنا على طبيعة التريبص(الغربي) المقتعل الذي أصبح مُسيطرأ على التعامل الأمني المصري مع هذا الرجل وأمثاله من الوطنيين الشرفاء.

عودته للسياسة في السبعينيات

في عهد الرئيس أنور السادات كان عبد الفتاح حسن موجوداً في الحياة العامة بوقار واحترام وتقدير فلما تأسس الوفد من جديد كان من أقطابه، كما كان من أقطابه في البرلمان، وكان السادات كما ذكرنا يعبر عن انزعاجه من هذا الوجود .

وقد توصل دهاقنة عهد ١٩٥٢ إلى تجديد العزف على نغمة إفساد الحياة السياسية قبل الثورة فاستصدروا تشريعا مخصوصا يُسقطون به عضوية البرلمان عن الوفديين القدامى، وسرعان ما وافق مجلس الشعب بطريقة الحشد المعروفة في برلمانات الثورة على إسقاط العضوية عن عبد الفتاح حسن باشا باعتباره رجلاً شريفاً وإن لم ينص القرار على معنى الشرف الواضح في مضمون القرار والتشريع.

اعتقالات سبتمبر ١٩٨١

كان من الطبيعي أن يُحارب عبد الفتاح حسن في حريته في نهاية عهد السادات فيما عرف باعتقالات سبتمبر ١٩٨١ وأن يكون من الذين أُفرج عنهم جماعة في بداية عهد الرئيس مبارك ولم يلبث بعدها ان توفي. في الذكرى الأولى لوفاته احتفل الوفد بوفاته احتفالاً كبيراً في بسيون وخطب فؤاد سراج الدين خطبة من خطبه المؤثرة و التاريخية.

مذكراته

نشر عبد الفتاح باشا حسن مذكرات متميزة هادئة وهادفة وقد تناولناها بالمُداسة منذ عشرين عاما في كتابنا "في رحاب العدالة: مذكرات المحامين في عصور مصر المختلفة".

الباب الثالث : رجال القصر

الفصل التاسع : حسن يوسف باشا

الذي حرمه الملك فاروق من رئاسة الديوان الملكي ٤ مرات

كان حسن يوسف باشا من أعلام مدرسة رجال القانون الذين مارسوا العمل الدبلوماسي المصري منذ بداياته أو عند قمته (وهي المدرسة التي تضم أحمد حسنين باشا ، و محمد صلاح الدين باشا ، و محمد عبد الخالق حسونة باشا ، و محمود فوزي بك) وكما كان من مدرسة الدبلوماسيين الحقوقيين فإن اسمه ارتبط أيضا بالعمل في الديوان الملكي في عهد الملك فاروق ، حيث كانت الاستعانة بالدبلوماسيين في وظائف الديوان تقليدا مستمرا في البلاط الملكي المصري.

وقد زاد حسن يوسف باشا على هذا ما تميز به هو نفسه على هذه المدرسة من القانونيين و الدبلوماسيين من العمل في بداية حياته ونهايتها في وظائف متصلة بالصحافة والفكر بل والمحاماة التي بدأ بها .

وهكذا فإنه عرف في الحياة الوظيفية والعامية بدرجة ناصعة كواحد من رجال السلك الدبلوماسي البارزين، قدر له أن يشغل مناصب دبلوماسية عديدة، ومناصب مدنية مهمة في الرقابة علي الصحف، وفي القصر الملكي، وكان نموذجا للكفاية والأدب والإنجاز، كما عرف في مجال الفكر بمذكراته و بمسئوليته عن مركز للتاريخ في جريدة الأهرام الذي كان هو نفسه بمثابة نواته ..

نشأته وحياته الوظيفية

ولد حسن يوسف باشا في ١٩٠٣ ، وتخرّج في كلية الحقوق وعمل بالمحاماة في بداية حياته ، وانتدب ليكون مديراً عاماً للنشر في وزارة الداخلية ، ثم مديراً للوزارة ، ثم تولى مسئولية الرقابة على الصحافة والمطبوعات .

عمل حسن يوسف باشا في الديوان الملكي رئيساً للإدارة العربية منذ يونيو ١٩٤٢ ، وظل بمثابة الرجل الأول أو الثاني في الديوان الملكي علي مدي عقد من الزمان (١٩٤٢ - ١٩٥٢)

توجهاته السياسية المبكرة

كان أداءه في منصبه الرقابي محلّ شكّ من البريطانيين ومن الوفديين أيضاً ، ولهذا فإن وزارة النحاس باشا في ١٩٤٢ أثرت إبعاده عن منصبه، وهكذا انتقل إلى الديوان الملكي وعُيّن مديراً للقسم العربي في الديوان وفي ١٩٤٥ عُيّن وكيلاً للديوان الملكي قبل شهر من وفاة أحمد حسين باشا. وفيما قبل ١٩٥٢ كان قد وصل إلى كسب ثقة الوفديين والنحاس باشا .

الفترات التي تولى فيها رئاسة الديوان بالنيابة

تولى حسن يوسف باشا رئاسة الديوان الملكي بالنيابة أربع مرات.

- كانت المرة الأولى عقب وفاة أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي، وقد صدر أمر الملك فاروق بتوليّه هذا المنصب (في فبراير ١٩٤٦) عقب وفاة حسنين باشا مباشرة علي نحو ما يري هو في إحدى فقرات مذكراته، وبعد سنة كاملة عين إبراهيم عبد الهادي رئيساً للديوان (في ١١ فبراير ١٩٤٧) ، فعاد حسن يوسف إلي المحل الثاني .
- فلما أصبح إبراهيم عبد الهادي رئيساً للوزراء عقب وفاة النقراشي (ديسمبر ١٩٤٨) خلا المنصب فتولاه حسن يوسف بالنيابة للمرة الثانية، وبقي فيه لمدة عام وأيام حتي عين حسين سري رئيساً للديوان مع تولي النحاس رئاسة الوزارة للمرة الأخيرة في يناير ١٩٥٠ .
- ولما استقال حسين سري باشا بعد أقل من ثلاثة شهور ، عاد حسن يوسف ليصبح رئيساً للديوان بالنيابة للمرة الثالثة، وظل كذلك حتي ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ ، حين عين حافظ عفيفي رئيساً للديوان في آخر فترات حكم الملك فاروق.
- فلما استقال حافظ عفيفي باشا عاد حسن يوسف مرة رابعة رئيساً للديوان الملكي بالنيابة بحكم العادة، وإن لم يصدر قرار من الملك (أو غيره) بهذا.

رؤساء الديوان الذين عمل معهم

وقد ظل حسن يوسف في كل هذه الفترات وكيلاً للديوان، أي أنه عمل وكيلاً للديوان مع أربعة رؤساء هم: أحمد حسنين، وإبراهيم عبد الهادي، وحسين سري،

وحافظ عفيفي، كما أنه عمل رئيساً للديوان بالنيابة خلفاً لهؤلاء الأربعة أيضاً، وإن كان قرار تعيينه رئيساً للديوان بالنيابة في آخر مرة لم يصدر نظراً لاضطراب الأوضاع. يُنسب إليه في بعض التقارير الأمريكية أنه كان له دور في إقالة إبراهيم عبد الهادي من رئاسة الوزارة ، والإتيان بحسين سري رئيساً للوزراء.

ترشيحه سفيراً لمصر في الولايات المتحدة الأمريكية

بعد أن عُيّن حسين سري رئيساً للديوان في عهد وزارة النحاس الأخيرة (١٩٥٠) رُشّح حسن يوسف سفيراً لمصر في الولايات المتحدة الأمريكية ، لكن رئاسة الديوان بالنيابة كانت في انتظاره حين استقال سري بعد شهور قليلة (أبريل ١٩٥٠) من رئاسة الديوان .

انتقام على ماهر منه

ومع أن حسن يوسف لم يكن في مصر في الأيام التي سبقت الثورة مباشرة، فإنه عاد إلي مصر بعد قيام الثورة و تولى أوتوماتيا هذه المسئولية، وكاد القرار يصدر بتعيينه رئيساً للديوان مع خفض درجة هذه الرئاسة من درجة وزير إلي وكيل وزارة علي نحو ما ذكر هو في مذكراته، إلا أن سوء العلاقة بينه وبين علي ماهر باشا رئيس الوزراء الأول في عهد ١٩٥٢ حال دون إتمام هذه التسوية، وانتهى الأمر بإحالاته للتقاعد المبكر وهو في التاسعة والأربعين من عمره.

السبب الذي منعه من رئاسة الديوان

من المهم هنا أن نشير إلي السبب الذي حال بين حسن يوسف وبين الوصول إلي رئاسة الديوان، وقد روي لي الأستاذ مصطفى أمين في مقابلة شخصية مبكرة وسابقة علي نشر حسن يوسف لمذكراته ، أن السبب في هذا كان تصرفه فيما قبل الحفل الذي أقامه الملك فاروق للملك عبد العزيز آل سعود ملك السعودية (١٩٤٦) وذلك أن الملك فاروق كان قد قرر منح الأبناء الكبار للملك السعودي أوسمة، ومنح الأحدث سناً منهم ميداليات ذهبية، فاحتج بعض الأمراء حديثي السن بالطريقة التي تتناسب مع سنهم، وأيدهم والدهم في احتجاجهم، ووجد حسن يوسف أنه لا بد من منح الأوسمة للأمراء جميعاً، ولما كان وقت الحفل قد أزف دون أن يتمكن من عرض الموضوع

علي الملك أو استئذانه، فقد تصرف علي مسؤوليته، وعندما اكتشف الملك ما حدث غضب غضبا شديدا وأقسم ألا يعين حسن يوسف رئيسا للديوان أبدا، وأن يظل وكيلا للديوان، وهو ما حدث بالفعل ، حيث خلت رياسة الديوان أربع مرات وتولاها حسن يوسف بالنيابة لفترات طويلة دون أن يعين في هذا المنصب.

وعندما نشر حسن يوسف مذكراته أشار إلي هذه القصة بطريقة مهذبة ومخففة، والواقع أنني أري أن في تصرفه في ذلك اليوم قدرا كبيرا من الإيجابية، والمبادرة، وحسن التصرف، وكياسة رجل الدولة أياً ما كانت نتيجة هذا التصرف، كما أنني أري في تصرفه دلالة قاطعة علي حبه لوطنه ولمليكه ولمسئوليته، ولا أري في التصرف أي خطأ علي الإطلاق، بل إنني أري في انتقاد مثل هذا التصرف قتلا لروح المبادرة والمسئولية التي نتمنى أن توجد في كل موظف، لا في كبار الموظفين فحسب.

الأمريكيون يثمنون موقفه من الحرب الكورية

ثمن الأمريكيون في تقاريرهم المخبراتية موقف حسن يوسف من الحرب الكورية ، فبينما كان النحاس باشا (والوفد معه بالطبع) صريحا في شجب التصرفات الأمريكية ، فإن حسن يوسف صرح بأنه لا يمكن اعتبار الأمريكيين أو الكوريين الجنوبيين بمثابة المعتدين في هذا الصراع.

أقرانه

ومع هذا فإن حسن يوسف لم يجد فرصة في الترشيح للمناصب الديبلوماسية العليا على نحو ما وجد زميلاه السابقان عليه بدرجة بسيطة من السن عبد الخالق حسونة (١٨٩٨ - ١٩٩٦) ومحمود فوزي (١٩٠٠ - ١٩٨١) . ومن الطريف أن السيدة زوجته كانت ابنة عم السيدة زوجة عبد الخالق حسونة باشا .

وقد أشارت مذكرات الدكتور حسين حسني سكرتير الملك فاروق إلي أن حافظ عفيفي كان قد صمم علي الاستقالة من رئاسة الديوان وأنه قدم استقالته النهائية في ٢٠ يوليو ١٩٥٢، وذلك علي ما رواه بنفسه لحسين حسني في مذكراته التي تدارسناها في الباب الثاني من كتابنا «في كواليس الملكية».

الفصل العاشر : السفير عبد الفتاح عمرو باشا

الباشا الأسيوطي السفير و بطل الإسكواش الإنجليزي

كان الدبلوماسي المصري عبد الفتاح عمرو باشا ١٩٠٩- ١٩٨٨ على موعد مع عدد من المواقف الفارقة في تاريخه و تاريخ وطنه . فقد كان على موعد مع خطوة فارقة (وإن لم تكن مواتية) في تحول البوصلة من الإمبريالية البريطانية إلى الإمبريالية الأمريكية، ثم كان على موعد مع فقدان الملك فاروق لعرشه وقيام دولة الضباط ، وإذا كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ قد أوقفت صعوداً واثقاً لعدد من الشخصيات الواعدة ، فإن عبد الفتاح عمرو باشا هو أول هؤلاء، فإن لم يكن فهو من أول خمسة منهم . ومن الجدير بالذكر انه هو السفير الذي ارتبط اسمه بحريق القاهرة و تتويج الملكة إليزابيث الثانية

مكانته في بريطانيا قصته والرياضة و الإسكواش

نعرف أن بعض ساستنا في عصر الليبرالية لقوا من احترام البريطانيين درجات متفاوتة، وأن بعضاً آخر تعلموا في بريطانيا واكتسبوا زمالة ثم صداقة بعض ساستها ، وذلك من قبيل محمد محمود باشا ، ونعلم أن بعضاً ثالثاً ربطتهم علاقة النسب بالبريطانيين من قبيل أمين عثمان باشا أو الرحلة مع البريطانيين مثل أحمد حسنين باشا أو العمل في سكرتارية البريطانيين العاملين في مصر مثل مكرم عبيد وأحمد حسنين باشا ، أما عبد الفتاح عمرو باشا فقد تفوق على هؤلاء جميعاً بطبيعة علاقته بالبريطانيين ، ذلك أنه لعب الإسكواش لبريطانيا نفسها وأصبح كابتن الفريق البريطاني للإسكواش ١٩٣٦ ، بعد أن فاز ببطولة الهواة ١٩٣٠ ثم لعب في الفريق ما بين ١٩٣١ و١٩٣٧ (فيما عدا عام ١٩٣٤) وأصبح منذ العام قبل الأخير لمشاركته في الفريق البريطاني بتمثابة قائد (كابتن) الفريق.

ومن الطريف أن عبد الفتاح عمرو باشا لم يكن قد مارس الاسكواش قبل سفره من مصر ، وإن كان قد مارس رياضتي التنس والبولو ، حتى إنه مثل مصر في كأس ديفيز للتنس.

و لا شك في أن صداقته الحميمة لأحمد حسنين باشا قد أفادته، وقد كان بينهما من فارق السن عشرون عاما (ولد حسين باشا في ١٨٨٩ وولد عبد الفتاح عمرو في ١٩٠٩) لكن عبد الفتاح عمرو باشا من دون هذه الصداقة كان قادراً على أن يُحرزَ تفوقاً ولمعاناً يتوافق مع موهبته وشخصيته المُتزنة، وليس أدلُّ على اتزانه شخصياً من سلوكه بعد ثورة ١٩٥٢ ، فقد عاش في بريطانيا وكان ثورة لم تحدث في مصر ، فلما هدأت الأحوال بقدم السادات ذهب بنفسه إلى القنصلية ليجدَّ جوازه المصري وليحتفظ بجوازه القديم إذا أذن له المصريون، وكان من حُسن حظ مصطفى الفقي أن يكون هو نائب القنصل الذي حظي بمقابلة عبد الفتاح عمرو باشا والحديث إليه وتجديد جوازه وتصوير جوازه القديم، وربما أن أهم ما وراه الفقي من كل ذكرياته ، كان هو ما رواه عن هذا اللقاء الذي سنُقدِّم روايته عنه بعد قليل.

نشأته و دراسته

ولد عبد الفتاح عمرو باشا في ١٤ فبراير ١٩٠٩ في أبو تيج ودرس في جامعة القاهرة ثم درس في بريطانيا، وفي الوقت ذاته سجّل نفسه محامياً أمام المحاكم البريطانية منذ ١٩٣١، وتلقّى دراسته في القانون الدستوري والبنوك والتأمين في جامعة أكسفورد. قبلها بعام اشترك عمرو في بطولة بريطانيا للهواة في الإسكواش، وقد أهّله هذا لأن يُسمى طريق بريطاني باسم مصر على نحو ما يُكرّم أبطال الرياضة في بلاد تحترم معنى البطولة .
كذلك فإنه ظل هاوياً للإسكواش حتى اعتزال اللعبة ، رغم أنه فاز ببطولة بريطانيا المفتوحة ٦ مرات، و بطولة بريطانيا للهواة ٦ مرات أيضاً .

تعبير طه حسين الذي أنصفه من حيث أراد انتقاده

صاغ الدكتور طه حسين المعنى الذي كان يُعبر عن غيره بعض ساسة المصريين من عبد الفتاح عمرو باشا بعبارة تبدو للوهلة الأولى وكأنها انتقاد لعمرو ، بينما هي عند التدبُّر ترفع من قدر اختيار عمرو لهذا المنصب، قال طه حسين عن عمرو: إنه يصلح سفيراً لبريطانيا في مصر أكثر مما يصلح سفيراً لمصر في بريطانيا.

في خضم اندلاع المقاومة الشعبية في ١٩٥١ ، كانت حكومة الوفد قد استدعت السفير عبد الفتاح عمرو للقاهرة للتشاور حسب التعبير الدبلوماسي في ١١ ديسمبر ١٩٥١ ، وفي هذه الفترة عينه الملك مستشاراً له في ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ ، فلما حدث حريق القاهرة بعد شهر من هذا التعيين ذهب بعض مُحَرِّرو جريدة المصري إلى اتهام عبد الفتاح عمرو باشا وحافظ عفيفي باشا بالتعاون مع السفارة البريطانية بتدبير حريق القاهرة الذي انتهى إلى إقالة وزارة الوفد ، وفرض الأحكام العرفية.

علاقته بأحمد حسنين باشا

تُشير التقارير الأمريكية التي ترجمها الدكتور رءوف عباس في كتابه "شخصيات مصرية بعيون أمريكية" إلى أن أحمد حسنين كان يوغر لمن يثق بهم من الصحفيين أن يُشيروا إلى أن عبد الفتاح عمرو باشا هو سفير مصر غير الرسمي في بريطانيا، وذلك تمهيداً لتعيينه سفيراً .

ومن الحق أن نقول إن حسنين باشا لم يكن بحاجة إلى مثل هذا الإيعاز ، كما أن عبد الفتاح عمرو باشا لم يكن هو الآخر بحاجة إلى هذا الإيعاز ، وأكثر من هذا ، فإن الملك فاروق نفسه لم يكن بحاجة إلى هذا الإيعاز ، لكن كتبة التقارير للمخابرات الأمريكية لا يجدون حرجاً في شغل بعض سطور التقارير أو استغراقها في التأكيد على سطوع الشمس أو حرارة الجو.

لكننا في مقابل هذا لا نستطيع أن نُنكر أن حيل الساسة المصريين كانوا قد جربوا ما حدث من إزاحة مكرم عبيد وطلول أمين عثمان محله بسهولة واقتدار ، قد أصابهم القلق من هذا الجيل الجديد الذي بدأ يقفز في سهولة إلى مواقع استبقاها جيل الباشوات مكرم عبيد والنقراشي وماهر وبهي الدين بركات وعبد الهادي بدوي...

تعيينه في السلك الدبلوماسي وصعوده السريع

لما اعتزل عبد الفتاح عمرو باشا ممارسة الإسكواش بناء على رغبته في المحافظة على الوظيفة والأقدمية... الخ) عُيِّن مستشاراً قانونياً في السفارة المصرية في لندن ١٩٣٩ ، واحتفظ بهذه الوظيفة حتى ١٩٤٣ ، وفي أثناء شغله لهذه الوظيفة اختير سكرتيراً لغرفة التجارة المصرية البريطانية من ١٩٤٠ - ١٩٤٢ .

عام ١٩٤٣ وفي سن مُبكرة عن أقرانه جميعاً مُنح الباشوية ، فإذا تذكرنا أن من مُنحوا الباشوية في ذلك الوقت كانوا من مواليد القرن السابق أدركنا مدى القفزة التي قفزها عبد الفتاح عمرو باشا في البروتوكول المصري. في ١١ نوفمبر ١٩٤٥ ، أصبح عبد الفتاح عمرو باشا وزيراً مفوضاً لمصر لدى بريطانيا العظمى قبل أن يصل السادسة والثلاثين هكذا كان من السهل انتقاد النقراشي (رئيس الوزراء) بديلاً عن الملك فاروق في هذا التعيين ، ومن أطرف ما يُمكن للقارئ المعاصر أن يتصوره وأن يعرفه أن الدكتور طه حسين نفسه اندفع بحُكم الحزبية إلى كتابة مقالات يُهاجم فيها هذا الاختيار لابن الصعيد، ونحن نعرف أن طه حسين في ذلك الوقت كان وثيق الصلة بنجيب الهلالي باشا (ابن الصعيد هو الآخر) الذي كان وزيراً للمعارف حتى إقالة حكومة النحاس في ١٩٤٤ .

عودته المفاجئة إلى بريطانيا للمشاركة في عزاء الملك جورج السادس

ومن الطريف أن عودة السفير عبد الفتاح عمرو إلى أداء وظيفته سفيراً لمصر في بريطانيا تمّت بمصادفة تاريخية ذلك أن الملك جورج السادس توفي فجأة في ٦ فبراير ١٩٥٢ في عهد وزارة علي ماهر فأرسلت الحكومة المصرية وفدها في هذا العزاء وضمّ الوفد الأمير محمد عبد المنعم وعبد الفتاح عمرو باشا ، ومن ثم بقي عمرو في لندن ليؤدي وظيفته من دون أوراق اعتماد جديدة.

و تتويج الملكة إليزابيث

وقد قام عبد الفتاح عمرو باشا بدور بارز في مفاوضات وزارة علي ماهر باشا مع البريطانيين ثم في مفاوضات وزارة الهلالي باشا مع البريطانيين.

قصة زواجه السري

على أن الأطراف من هذا كله في حياة عبد الفتاح عمرو باشا ، وهو ما لم تتناوله الصحافة المصرية في ذلك العهد بالقدر المعتاد الآن من صراحة الصحف الصفراء، أن عبد الفتاح عمرو باشا عُيّن في منصب السفير الذي خلا قبلها بعام ، عندما استقال منه السفير حسن نشأت باشا لسبب كان موجوداً في عبد الفتاح عمرو باشا نفسه، فقد كان حسن نشأت قد تزوج من بريطانية، وكان القانون الديبلوماسي المصري (ولا

يزال) لا يسمح بزواج الدبلوماسيين المصريين من أجنبيات، وهكذا استقال حسن نشأت باشا فإذا بمن يحل محله مُتزوِّجٌ (ولكن بالسر وليس بالعلن) من بريطانية، وهكذا تمكّن عمرو باشا من الحصول على منصب السفير. وعلى كلّ الأحوال فإن عبد الفتاح عمرو باشا أصبح سفيراً لمصر منذ ١٩٤٥ وحتى قيام الثورة في ١٩٥٢

نجاحاته الدبلوماسية

حقّق عبد الفتاح عمرو باشا في أدائه لمنصبه نجاحات بارزة من وجهة نظره لا من وجهة نظر الحقيقة المجردة:

- أول هذه النجاحات هو معاونته القصى في الوصول إلى صيغة معاهدة صدقي بيفين (١٩٤٦) التي تُعتبر أفضل النصوص التي وصل إليها المصريون في مفاوضاتهم المُتكرّرة مع البريطانيين.
- ثاني هذه النجاحات هو تعاونه البارز مع وزير الخارجية الوفدي محمد صلاح الدين باشا في التفاوض مع البريطانيين، صحيح أن هذا التعاون توقف في صيف ١٩٥١، عندما بدأ القصر يخطط للغدر بحكومة الوفد، لكن المراحل التي توصل إليها صلاح الدين باشا كانت تدين بجزء كبير من الفضل لعبد الفتاح عمرو، ومع هذا فإن محمد صلاح الدين تحمّل عمرو باشا وأبقى عليه في لندن رغم خلافاتهما المُعلنة، وهو ما يُحسبُ لصلاح الدين باشا، وللوفد.
- ثالث هذه النجاحات وهو نجاح غير مرغوب في أية دولة دستورية، هو أنه بدأ يخلق خطأً موازياً لمفاوضات مصر مع البريطانيين، وذلك باعتباره مستشاراً غير رسمي للملك للشئون الخارجية أو البريطانية، وقد كانت حكومة الوفد منتبهة إلى هذا، وتمكّن إبراهيم فرح وزير الخارجية بالنيابة (في أثناء سفر صلاح الدين) من أن يضع تصرفات عبد الفتاح عمرو باشا في إطار فردي شخصي لا يُعبّر عن مؤسسات الدولة.

ارتباط اسمه بحريق القاهرة

ومن العجيب أن إلحاح عمرو على القيام بدور كبير دفعه إلى أن يستصدر من الملك قراراً في ٢٤ ديسمبر ١٩٥١، أي قبل إقالة حكومة الوفد بشهر بتعيينه مستشاراً للملك للشئون الخارجية في نفس الوقت الذي عُيّن فيه صديقه حافظ عفيف رئيساً للديوان الملكي، لكن هذا التعيين لم يُمهّد لما كان ممكناً للملك أن يقوم به من تعيين عبد الفتاح عمرو باشا وزيراً للخارجية، مع إقالة وزارة الوفد عقب حريق القاهرة في يناير ١٩٥٢، ولو أنه فعل هذا ومكن عمرو من أن يستثمر علاقته البريطانية، لاستطاع أن يُحقّق شيئاً يُنسبُ إليهما، أي إلى الملك وإلى عبد الفتاح عمرو باشا لكن خيال الملك فاروق وهمته، وخيال عمرو وهمته كانا أبعد عن الوصول إلى مثل هذا التحدي الذي كان ممكناً أن يُغيّر من الصورة.

فصله بعد قيام ثورة ١٩٥٢

وفيما بعد قيام الثورة مباشرة و في أغسطس ١٩٥٢، وقّع الأوصياء على العرش قراراً بإحالة السفير عبد الفتاح عمرو باشا إلى التقاعد، وتعيين الدكتور محمود فوزي سفيراً لحكومة الملك الطفل أحمد فؤاد الثاني إلى بريطانيا، ومن الجدير بالذكر أن الدكتور محمود فوزي كان يكبر السفير عمرو بتسع بسنوات . وعلى كل الأحوال فقد بقي عمرو في بريطانيا عقب إقالته وإلى أن توفي.

قصة تجديده لجواز سفره المصري

نقرأ بعض فقرات هذا النص المطول والكاشف الذي كتبه الدكتور مصطفى الفقي عن اللقاء الذي قُدّر له أن يحظى به مع عبد الفتاح عمرو باشا في ١٩٧٢، وقد تركنا النص كما هو وإن كنا أشرنا إلى بعض ما ينبغي أن نشير إليه:

" ذات صباح من صيف عام ١٩٧٢، كنت أجلس بمكتبي بالاقنصلية المصرية العامة في "لندن"، حيث أبلغني معاون الخدمة أن رجلاً كبير السن وقور المظهر يجلس في صالون المبنى، ويريد أن يُقابل القنصل المصري، وأضاف إن الرجل يُمسك في يده جواز سفر مصرياً قديماً عليه شعار "التاج الملكي"، فأظهرت رغبة عاجلة في لقاء ذلك المواطن المصري، الذي يبدو أنه شخصية ذات ثقل، وقُمت

لاستقباله، حيث قدّم نفسه لي قائلاً: أنا "عبد الفتاح عمرو" سفير مصر الأسبق في "لندن" فأضفت إليه: "وأيضاً بطل العالم في "الإسكواش" [الحقيقة أنه كان بطل بريطانيا]، والمستشار ذو الخطوة عند الملك "فاروق"، فأبدى الرجل سعادة بالغة لأنّ ديبلوماسياً مصرياً شاباً يعرف عنه هذه المعلومات. فأمسكت بيده في احترام شديد، واصطحبته إلى مكتبي، وجلست إلى جانبه على مقعد كبير في صدر المكان، وبالغت في تقديره وتوقيره، إيماناً منّي بأنني أجلس على جانب شخصية تاريخية مهمة، تُعتبر واحدة من رموز العصر الملكي المصري"

"وقد بدا الرجل يتحدث بارتياح، وقال لي إنه لا يحمل أي ضغينة إطلاقاً للثورة المصرية ورجالها، فقد مضى [عشرون] عاماً على قيامها، ولم تعد تربطه بمصر أدوار سياسية، ولكن روابط وطنية، وأخرج جواز سفره من جيبه، وقال لي: "إنني أضع جواز سفري المصري والمُنتهية صلاحيته منذ أكثر من خمسة عشرة عاماً على مكتبي بالمنزل، أتطلع إليه كلّ صباح، لأتذكر الوطن الذي لا أنساه، وأنت كما تعلم أحمل جواز سفر بريطانيا، وكذلك أولادي، إلا أن للجواز المصري رحيقاً خاصاً، لذلك سعيت إلى القنصلية العامة هنا - بعد تردّدٍ طويل - لتجديده، حتى أشعر بتواصل الانتماء للبلد الذي نشأت فيه ودُفن في أرضه آبائي وأجدادي".

ثم نتأمل في الصلاحيات التي يتصورها المصريون لأنفسهم :

"فَقُمت على الفور بإصدار التعليمات بتجهيز جواز سفر جديد للمواطن المصري "عبد الفتاح عمرو" وقُمت بتوقيعه وختمه وسلّمته إليه، وأنا أكاد أرى الدموع في عينيه، فقال لي: "إنني أريد أن أسألك في الاحتفاظ بجواز سفري القديم للذكرى، لأنه مدوّن فيه أنني سفير ملك مصر والسودان في المملكة المتحدة، فوافقته على ذلك، بعد أن طلبت تصويره وختمه بخاتم الإلغاء، وقلت له إن لي رجاء عندك يا معالي "الباشا"، وهو أن تقبل دعوتي على الغداء اليوم، خصوصاً أننا قد انتهينا تماماً من موضوع جواز السفر....."

"وعندما جلسنا إلى مائدة الطعام في واحد من المطاعم في منطقة "نوتنج هيل جيت" القريبة من شارع "كينجستون بالاس جاردنز"، حيث كانت توجد القنصلية المصرية العامة حينذاك، بدأت أفتح صندوق الذكريات القابع في أعماق ذلك الرجل الكبير، فقلت له: "إنني رأيت في طريقي إلى مدينة "أكسفورد" طريقاً يُسمى

"Egypt Lane"، وعندما سألت عن السبب في التسمية، قيل لي أن تلك التسمية جاءت تكريماً لـ "عبد الفتاح عمرو"، البطل الرياضي العالمي والسفير المصري السابق.

" ولقد تذكرت ذلك اليوم مرة أخرى في شهر مايو عام ٢٠٠٩، وأنا أمر بالمنطقة نفسها أثناء زيارة أخيرة "لإنجلترا" - وعندما اندمج الرجل في الحديث، واستطرد في سرد ذكرياته، فاجأني بأسئلة طريفة منها قوله: أين الملحق الديبلوماسي "أحمد عصمت عبد المجيد"؟ فابتسمت وقلت له: إنه وزير سابق وسفير حالي، واسم لامع في سماء الدبلوماسية المصرية والعربية (عام ١٩٧٢)، وعندما سألني عن شخصيات أخرى، أبلغته أن بعضها قد أحيل إلى التقاعد، وأن البعض الآخر قد ترك الخدمة ضمن عمليات التطهير، التي قامت بها حكومة الثورة في السلك الديبلوماسي المصري في الخمسينات ومطلع الستينات من القرن العشرين. ولقد بدأ الرجل يتحدث بموضوعية عن أخطاء العصر الملكي، متحفظاً في الحديث عن أخطاء العصر الجمهوري، مُعبراً عن سعادته بالتوجهات الجديدة لحكم الرئيس السادات."

" وفي نهاية اليوم ودعت ذلك الرجل، وكأني أودع قطعة غالية من قلب الوطن، ومضى الرجل سعيداً لا يُصدّق ما جرى في ذلك اليوم، الذي تصالحت فيه مصر الثورة مع العصر الملكي! وتطلع فيه شاب في مستهل حياته على من هو في موقع أبيه وأستاذه في الوقت ذاته، وقد أبرقتُ يومها إلى وزارة الخارجية المصرية - بعد استئذان القنصل العام "محب السمرة"، الذي بدا مرتاحاً لما فعلت، راضياً عن قيامنا بذلك التصرف الوطني الأخلاقي الواجب - أبلغها بالإجراءات التي اتخذناها، وبصورة جواز السفر الملكي، الذي أرسلته في الحقيبة الدبلوماسية التالية، ولحسن الحظ لم يرد إلينا من الوزارة أيّ اعتراض أو لوم.."

وفاته .

توفي عبد الفتاح عمرو باشا عن ٧٩ عاماً في ٢٣ يونيو ١٩٨٨، ولم يكن ينقصه عن الثمانين إلا شهور.

الباب الرابع الدستوريون والمستقلون

الفصل الحادي عشر : أحمد خشبة باشا

كلمة السر في ظلم الوفد والانقلاب عليه

من التقنيات الروائية القديمة أن يلجأ القاص إلى كلمة يدير حولها بداية الأحداث ونهايتها وكأنها كلمة السر في الأحداث، ومن الطريف أننا نستطيع اللجوء إلى الروايات الشائعة لنستخدم مثل هذه التقنية في رواية الانقلابات على الوفد في الحياة السياسية في الحقبة الليبرالية مستخدمين لقبه "خشبة" ككلمة للسر .

كان عضواً في أكبر عدد من وزارات ما قبل الثورة

كان أحمد خشبة باشا (١٨٨٦ - ١٩٥٤) وزيراً مخضرمًا، وُجد في المناصب الوزارية علي مدي ربع قرن كامل وهو صاحب أكبر عدد من الوزارات (١٢ وزارة) التي شارك فيها وزير واحد منذ نشأة النظام الوزاري ١٨٧٩ وحتى ١٩٥٢. ينتمي أحمد خشبة باشا إلى أسرة خشبة المعروفة في أسيوط، و خشبة لقب شائع في مصر ، ويبدو أن كان يستخدم سواء من باب المديح أو من باب الدعابة في وصف الأجداد الذين يتمتعون بمزايا بدنية شبيهة بمزايا الخشب، أو بمزايا عقلية شبيهة بمزايا الخشبة ، ثم ينتقل مع نسلهم لتُصبح هناك عائلات بأكملها تحمل هذا الاسم. ، وفي الدقهلية أسرة تحمل هذا اللقب، في شربين ، وهي أسرة الأستاذين دريني خشبة وسامي خشبة. وعلى سبيل المثال فإن اسم أحمد خشبة نفسه هو اسم لثلاثة على الأقل من أساتذة الطب المصريين فهو اسم أستاذ طب الأطفال الأشهر والمؤسس في كلية طب بنها الذي هو والد زميلنا الدكتور أحمد خشبة أستاذ طب القلب في عين شمس، كما أنه اسم أستاذ الجراحة في طب الزقازيق.. وهكذا.

ما يروى عن وساطته للرئيس عبد الناصر

كان أحمد خشبة باشا في الروايات الفولكلورية الشائعة التي لم أجد لها نصاً دقيقاً مكتوباً هو ذلك الباشا الأسيوطي الذي ذهب إليه والد الرئيس جمال عبد الناصر مصحوباً بابنه ليحصل على توصية الأب الباشا على ابنه للالتحاق بالطب الحربية،

وكان الباشا على عادة النبلاء في ذلك الزمان كريماً مع الأب الذي يريد لابنه مستقبلاً أفضل فاتفق معه على أن يصطحبه هو وابنه في يوم تال بسيارته الخاصة إلى الكلية الحربية. ضيف القصة أن الباشا دعا الأب للجلوس إلى جواره ، ودعا الابن إلى أن يجلس في المقعد الأمامي، وتضيف القصة في روايات أخرى أن الابن الرئيس تصوّر هذا الأمر على أنه إهانة له ، وأنه كان يستحق أن يجلس مع والده ومع الباشا في المقعد الخلفي ، ولا يجلس إلى جوار السائق لأن مقامه مقام الباشا وليس مقام السائق، مع أننا حين كنا في سن الرئيس عبد الناصر حين تقدم للكلية الحربية لم نكن نرحب بالجلوس في المقعد الخلفي وإنما كنا نعتبر المقعد الأمامي ذا أفضلية أياً ما كان من يصحبنا.

بعد الثورة

لك أن تتصور باشوات ما قبل الثورة الذين عاشوا وعانوا في فترة الثورة وقد فاجأهم الضباط الشبان بالانقلاب و أخذوا يعتقلونهم مرة بعد أخرى ، فإذا الباشوات ينظرون إلى أحمد خشبة باشا شذراً، ويقولون له: إنه هو السبب في ضياع حقبة الليبيرالية، وحلول حكم العسكر ، وقسوة الرئيس عبد الناصر محل عصر الباشوات

وربما أنك تستطيع أيضاً أن تتخيّل مشاعر الندم وتأنيب الضمير عند خشبة باشا أو تتخيّل (من باب مجازاة حكم العسكر) أن خشبة باشا كان فخوراً بهذا "الابن" الواعد الذي ساعده هو في أول حياته حين وضعه على طريق الزعامة!

بداية علاقته بمحمد محمود باشا

نعلم أن هذه القصة وحدها حتى لو كانت صحيحة لا تكفي لبناء مفارقات في رواية قصة طويلة، ومن حسن الحظ أو من توافقاته أن هناك ما يكمل هذه القصة، وأن ما يكملها ليس مفارقة واحدة وإنما مفارقات، فقد وتولى خشبة باشا بصفته البرلمانية رئاسة لجنة للفصل في صحة عضوية محمد محمود باشا زعيم الدستوريين وزعيم الأقلية ورئيس الوزراء فيما بعد.

مآثره السياسية

أبرز ما يذكر لأحمد خشبة باشا هو عنايته الشديدة بالتدقيق في اختيار من يعينون في وظائف النيابة والقضاء في أثناء الفترات التي شغل فيها منصب وزير العدل (الحقانية)

بداياته السياسية

كان خشبة باشا في أول عهده ولفترة قصيرة وفدياً ، و قد انتخب عضواً في عضوا في أول برلمان بعد ثورة ١٩١٩ بصفته الوفدية ك، ما انتخب وكيلا لمجلس النواب الأول في ظل عناية سعد زغلول باشا بتشجيع طبقة جديدة من الشبان و إعدادهم للزعامة ، وكان المجلس في اغلبيته وفدياً، وهو الذي تولى رئاسة اللجنة التي نظرت الطعن في عضوية محمد محمود باشا والتي لم تلبث أن أقرت هذا الطعن، وأفضل رواية تصور هذه القصة هي ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل ، وهو صديق للطرفين، عنها في مذكراته

بداياته الوزارية

هكذا كانت لخشبة باشا مكانة متقدمة بين شبان الوفد الواعدين حتى إنه كان مع عثمان محرم باشا بمثابة الوزيرين الجديدين الذين مثلاً الوفد في وزارة أحمد زيور التي تشكلت في نهاية ١٩٢٤ عقب استقالة سعد زغلول بسبب حادث مقتل السردار لي ستاك .. ، ومع أنه كان وزيراً جديداً في ذلك اليوم فقد كان ترتيبه في هذه الوزارة أول الوزراء بعد رئيس الوزراء نفسه، وذلك لأن كل وزراء هذه الوزارة كانوا وزراء جدد، وكان أحمد خشبة باشا أولهم .

ومن الطريف أنه ظل دائماً منذ دخوله الوزارة يتراجع عن مرتبته المتقدمة هذه حيث دخل الوزارة التالية مَنْ هم أقدم منه، لكن خشبة باشا شأنه شأن عثمان محرم لم يطق البقاء في هذه الوزارة أكثر من أسبوع حين عرف أنها لن تكون وزارة وفدية الهوى وهكذا أثر الاستقالة بمجرد أن صرح زيور بما صرح به من سياسة لم يجد بدأً تجاهها هو وعثمان محرم باشا من الاستقالة، ولولا هذه الاستقالة المبكرة ما

ضمن أحمد خشبة باشا كل ما ناله من مناصب وزارية بعد ذلك، وفي هذا الأسبوع عمل خشبة باشا وزيراً للمعارف العمومية، كما تولى الحقانية (مؤقتاً) لمدة يومين.

اشتراكه في الائتلاف الوزاري

فيما بعد فقد كان من الطبيعي أن يصبح خشبة باشا وزيراً في وزارات الوفد أو ممثلاً للوفد ، وهكذا أصبح وزيراً في الوزارات الائتلافية الثلاث وآخرها الوزارة التي رأسها النحاس باشا . وقد بدأت مشاركاته لما تشكل الائتلاف الوزاري برئاسة عدلي باشا في يونيو ١٩٢٦ حيث اختير وزيراً للحربية والبحرية، واحتفظ بهذه الوزارة طيلة عهد وزارة عدلي باشا (يونيو ١٩٢٦ - أبريل ١٩٢٧)، وفي هذه الوزارة أصبح ترتيبه السابع بعد رئيس الوزراء، فقد ضمت وزارة عدلي يكن ستة من الوزراء الأقدم منه في تولي الوزارة.

وطيلة الوزارة التالية وهي وزارة عبد الخالق ثروت باشا تولى أحمد خشبة باشا وزارة المواصلات (أبريل ١٩٢٧ - مارس ١٩٢٨)، وفي هذه الوزارة أصبح ترتيبه السابع أيضاً بعد رئيس الوزراء، فقد دخل الوزارة جعفر ولي ليتولى الحربية التي كان خشبة باشا يتولاها، وتولى محمد محمود المالية بدلاً من المواصلات التي تولاها خشبة باشا ، وتولى مرقص حنا الخارجية بدلاً من المالية، وتولى ثروت باشا الداخلية مع الرئاسة بدلاً من الخارجية التي كان يتولاها في وزارة عدلي باشا .

وهكذا فإن الفارق الوحيد في الأشخاص بين وزارتي عدلي الثانية وثروت الثانية يتمثل في خروج عدلي باشا ودخول جعفر ولي باشا، لكن الوزارة التي يتولاها كل وزير قد اختلفت مع كل من ثروت باشا نفسه، ومرقص حنا باشا ، ومحمد محمود باشا ، وخشبة باشا .

بداية توليه وزارة الحقانية

في الوزارة التالية وهي وزارة النحاس باشا الأولي ١٩٢٨ حدث شيء مماثل، فقد أصبح أحمد خشبة باشا وزيراً للحقانية خلفاً لأحمد زكي أبو السعود، وقد تقدم ترتيب خشبة ليكون الخامس بعد رئيس الوزراء، وذلك بعد خروج ثلاثة وزراء وفديين من

ذوي المكانة (هم: أحمد زكي أبو السعود باشا، وفتح الله بركات باشا، ومرقص حنا باشا) ودخول وزير وفدي قديم (هو واصف بطرس غالي باشا).

اشتراكه في تصديع الائتلاف الوزاري

ثم كان هو نفسه كلمة السر أو السبب في الانقلاب على النحاس باشا من خلال المشاركة فيما يسميه الوفديون مؤامرة تصديع الائتلاف الوزاري وذلك بالاستقالة مع جعفر والي وإبراهيم فهمي كريم من الوزارة، وهو ما وصفه الملك في بيان إقالة الوزارة بقوله: "ولما كان الائتلاف الذي تقوم عليه الوزارة قد تصدع" ومن هنا جاء هذا المصطلح.

كانت النتيجة أن خرج النحاس باشا من الحكم بإقالة أولى وزارته على يد أحمد خشبة باشا وزملائه، لكن خشبة باشا بقي في الوزارة تحت رئاسة محمد محمود الذي كان أحدث منه في تولي المنصب الوزاري والذي حقق هو نفسه في صحة عضويته في البرلمان.

أصبح قاسماً مشتركاً في وزارت الأقلية

منذ ذلك الحين عاش خشبة باشا في كنف وزارات الأقلية أو الوزارات الإدارية وقد أصبح قاسماً مشتركاً في هذه الوزارات حتى إنه اشترك في ١٢ وزارة كما أشرنا في مقدمة حديثنا عنه وكان ممكناً له أن يشترك في حوالي عشرين وزارة لكنه مع هذا بقي كما أشرنا صاحب أكبر عدد من الوزارات التي شارك فيها وزير واحد منذ نشأة النظام الوزاري حتى ١٩٥٢ ومن هذه الوزارات الاثني عشر أربع وزارات رأسها ابن مديريته أسيوط محمد محمود باشا وهي كل وزاراته الأربع.

تقدمت أسبقيته

لما شكل محمد محمود باشا وزارته (عقب تصديعه هو وآخرون لوزارة النحاس) قفز ترتيب أحمد خشبة مرة أخرى ليكون الثالث بعد رئيس الوزراء واحتفظ بذات الوزارة التي تولاهما في ذات الوزارة السابقة.

ومن العجيب أن أحمد خشبة باشا احتفظ بوزارة الحقانية ٣ مرات أخرى هي بالنسبة له الثالثة والرابعة والخامسة، وذلك في وزارات محمد محمود الثانية والثالثة

والرابعة، وهي وزارات متصلة (ديسمبر ١٩٣٧ - أغسطس ١٩٣٩)، وبذلك فإن وزير الحقانية في وزارات محمد محمود باشا الأربع كان رجلاً واحداً فقط هو أحمد خشبة باشا. ومن الجدير بالذكر أيضاً (إذا ما كان الشيء بالشيء يذكر) أن وزير الحقانية في وزارات حسين رشدي الأربع كان رجلاً واحداً فقط هو عبد الخالق ثروت

معارضته معاهدة ١٩٣٦

كان أحمد خشبة باشا أحد أعضاء مجلس الشيوخ السبعة الذين اقترحوا ضد معاهدة ١٩٣٦، وربما أنه كان أبرزهم مضيفاً بهذا عنصراً من عناصر عدائه للوفد.

عودته مع محمد محمود باشا في نهاية ١٩٣٧

كان من الطبيعي أن يعود لتولي الوزارة حين ألغها محمد محمود باشا ، وأن يستمر طيلة عهد هذه الوزارات (ديسمبر ١٩٣٧ - أغسطس ١٩٣٩)، ومن الطريف أن ترتيب خشبة باشا في وزارة محمد محمود باشا الثانية كان الثالث بعد رئيس الوزراء، إذ سبقه في الترتيب رئيسا الوزراء السابقين اللذان اشتركا في هذه الوزارة وهما: صدقي باشا ، وعبدالفتاح يحيي باشا ، وظل الوضع كذلك في وزارة محمد محمود الثالثة، بل والرابعة حيث دخل أحمد ماهر باشا الوزارة علي حين كان صدقي باشا قد خرج منها، وهكذا ظل أحمد خشبة في الترتيب الثالث بعد رئيس الوزراء.

لم يشترك مع حسن صبري وعاد في اثناء وزارة سري باشا

لم يشترك أحمد خشبة باشا في وزارتي حسن صبري وحسين سري الأولي، لكنه قبل الاشتراك في وزارة حسين سري الثانية، وعمل وزيراً للمواصلات طيلة عهد هذه الوزارة، وكانت هذه أول مرة يعود فيها إلي الموقع الأول بعد رئيس الوزراء الذي كان أحدث منه في تولي المنصب الوزاري.

ولم يشترك أحمد خشبة باشا بالطبع في وزارتي النحاس باشا (١٩٤٢ - ١٩٤٤) ولا في وزارتي أحمد ماهر الاثنتين والنقراشي الأولي (١٩٤٤ - ١٩٤٦)، ولا في وزارة صدقي الثالثة، لكنه عاد واشترك في وزارة النقراشي الثانية طيلة عهد هذه الوزارة، وقد أصبح ترتيبه فيها الأول بعد رئيس الوزراء الذي هو (مثل حسين سري باشا) أحدث منه في تولي المنصب الوزاري. وقد تولي وزارة العدل في البداية

وحتى ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ حيث تولى الخارجية إلي نهاية عهد هذه الوزارة . لكنه لم يشترك في وزارة إبراهيم عبدالهادي عند تشكيلها عقب اغتيال النقراشي باشا (وربما يجدر ذكر حقيقة أنه كان وصل إلي منصب الوزير قبل رئيس الوزراء الجديد بخمسة عشر عاماً)، ومع هذا فقد عاد إلي الاشتراك فيها بعد شهرين من تشكيلها وزيراً للخارجية. ثم كان آخر عهده بالمنصب الوزاري أن اشترك في الأسابيع الثلاثة الأولى من وزارة سري باشا الائتلافية (حتى ١٦ أغسطس ١٩٤٩) كوزير للعدل للمرة الثامنة.

ملخص إسهاماته الوزارية

هكذا فإن أحمد خشبة باشا تولى:

- وزارة العدل : ثماني مرات (منها أربع مع محمد محمود باشا).
- وزارة الخارجية : مرتان.
- وزارة المواصلات : مرتان.
- وزارة المعارف : مرة واحدة.
- وزارة الحربية : مرة واحدة.

أي أنه تولى ٥ وزارات في ١٢ وزارة مع ٨ رؤساء وزراء هم: زيور باشا، وعدلي باشا، وثروت باشا، والنحاس باشا، ومحمد محمود باشا (٤ مرات)، وسري باشا (مرتين)، والنقراشي باشا، وإبراهيم عبد الهادي باشا. وليس من العدل أن يقال إنه اشترك في كل الوزارات غير الوفدية ، ذلك أنه لم يشترك في وزارات على ماهر ولا أحمد ماهر ولا إسماعيل صدقي ولا عبد الفتاح يحيي ولا حسن صبري ولا محمد توفيق نسيم ولا الهلالي باشا ! ولولا هذا لكان قد عمل مع كل رؤساء الوزارات في ذلك العهد ، و هو ما المحنا إليه بقولنا إنه كان من الممكن نظريا أن يشترك في ٢٠ وزارة .

وفاته

توفي أحمد خشبة باشا في يناير سنة ١٩٥٤ في أصعب لحظات الأزمة الأولى لعهد الثورة مع الإخوان المسلمين ، وقبل أن تشهد مصر أزمة مارس ١٩٥٤ .

الفصل الثاني عشر: إبراهيم الدسوقي باشا أباطة

السياسي الذي استشهد الشاعر إبراهيم ناجي بسبب مدحه

نبدأ بالعامل الأبلغ في المجد التاريخي لإبراهيم الدسوقي أباطة باشا ١٨٨٩- ١٩٥٣ وهو مجد لم يُرسم حتى الآن على الصورة التي يستحقها ؛ ذلك أنه كان الراعي الأول والأخير للشاعر الدكتور إبراهيم ناجي صاحب "الأطلال" الرائعة ، وبسبب هذه الرعاية أُوذي الدكتور إبراهيم ناجي في أول عهد الثورة حيث زعم الواشون من باب الزور والإفك الذي كان رجال ثورة ١٩٥٢ يحبونه ليبرروا به ما كانوا قد شرعوا فيه تجاوزاتهم اللاحقة أن هذا الطبيب العظيم نال منصب مدير القسم الطبي في مصلحة السكك الحديدية بفضل إعجاب هذا الوزير به، فقد كان إبراهيم الدسوقي أباطة هو وزير المواصلات في بعض الوزارات التي كان الدستوريون يُشاركون فيها من باب الائتلاف مع السعديين وغيرهم طيلة الأربعينيات، وكانت نتيجة الوشاية وشهادة الزور أن فقد الشاعر العظيم وظيفته ، وسرعان ما مات كمدا وحرنا من هذا الظلم غير المبرر وقد مر بأزمة نفسية حادة بسبب هذا قبل أن يموت لكنه كان حريصا على أن يتجلد .

مكانته في ديوان الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي

ومن الحق أن نذكر أن ديوان الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي حافل بالقصائد التي يُثني فيها على إبراهيم الدسوقي أباطة وعلى أخلاقه وأدبه و وطنيته ، بل إن مدائح إبراهيم ناجي في إبراهيم الدسوقي أباطة تُمثل جزءا كاملا من الديوان أو ديوانا كاملا من دواوينه وقد سَمّى إبراهيم ناجي نفسه هذه المجموعة بالإبراهيميات . وسوف نستمتع مع القارئ بإذن الله بقراءة بعض من هذه القصائد .

حبه للأدباء

كان إبراهيم الدسوقي أباطة باشا من هواة الأدب كما كان يمارس الكتابة وقد نشر على مدى حياته كثيرا من المقالات السياسية الوطنية في الصحف المصرية أحيانا بتوقيع "الغزالي أباطة"، نسبة إلي قريته غزالة، وأحيانا باسم "دسوقي باشا

أباطة" لكنه عرف أكثر من هذا وعلى نطاق واسع بحبه للأدب والأدباء، ورعايته لكثيرين من هؤلاء، وإليه يعود الفضل في تأسيس جماعة شعراء العربية.

شهرة ابنه شامل وثروت

ننتقل إلى المصادفة الثانية في تاريخ هذا الباشا الوطني وهي أنه رُزق بابنين مشهورين الأول هو الدكتور شامل رجل الاقتصاد وعضو مجلس الشعب المنتخب في ١٩٧٦ الذي تزوج السيدة صفية ابنة النقراشي باشا ومن ثم فإنه جمع الدستوريين والسعديين في بيت واحد، ومن حق ابنته الدكتورة هدى أباطة أن تتمثل بقول شاعر متحير بين مجدين و إلى أيهما ينسب نفسه.

أما الابن الثاني فهو أشهر من أن يُعرف للقارئ فهو الأستاذ ثروت أباطة الذي أصبح وكيلًا لمجلس الشورى في عهد الرئيس مبارك بعدما كان من الأعضاء الأوائل المُعيّنين في هذا المجلس عند تأسيسه في عهد الرئيس السادات ، وقد تزوج الأستاذ ثروت أباطة من السيدة عفاف ابنة الشاعر الكبير عزيز أباطة باشا الذي هو أعظم الوجوه الثقافية و الفكرية للعائلة .

لا يتوقف حظ هذا الباشا الأباطي عند هذا لكنه يمتد إلى آفاق أخرى نذكر من فضل الله علينا أننا لا نكتب فيها .

ثاني وزير في تاريخ العائلة الأباطية

كان هذا السياسي الدستوري البارز ثاني وزير في تاريخ العائلة الأباطية، فقد كانت العائلة الأباطية مشاركة على الدوام في السياسة وكانت حريصة على ألا تحصر نفسها في حزب واحد أو توجه واحد، وهكذا كان منها وفديون (كأحمد بك أباطة) ودستوريون (مثلته هو) ووطنيون (فكري باشا أباطة الذي كان أصغر وألمع من إبراهيم دسوقي باشا) بل وكان من بينها بعض ضباط الثورة (وجيه أباطة) وبعض وزراء الثورة من التكنوقراطيين البارزين (محمد ماهر أباطة)

التعريف بسليمان أباطة وإسماعيل أباطة

أما الوزير الأباطي الأول فهو سليمان باشا أباطة الذي كان وزيراً للمعارف في عهد الخديو توفيق، في وزارة واحدة هي وزارة إسماعيل راغب باشا ١٨٨٢ التي

أعقت الثورة العرابية ويحمل اسم سليمان أباطة شارع في المهندسين ينقل الحركة بين شارع جامعة الدول العربية و نادي الصيد ، وأما الأباطي الذي يليه وجودا ويفوقه حضورا في تاريخ الحركة الوطنية فهو إسماعيل أباطة باشا الذي كان من أنصار مصطفى كامل والحزب الوطني ، و كان نداءً مُشاكسا لسعد زغول باشا فيما قبل ثورة ١٩١٩ ويحمل اسمه شارع في حي الدواوين في وسط القاهرة و تقع فيه محطة مترو الأنفاق التي تحمل اسم سعد زغول وهي المحطة التي جمعت النقيضين فحملت اسم الزعيم و وجدت في الشارع الذي يحمل اسم غريمه.

نشأته

ولد إبراهيم الدسوقي أباطة باشا في قرية غزالة بمديرية الشرقية، وتلقى تعليمه في مدرسة الناصرية الابتدائية بالقاهرة ثم في المدرسة الخديوية الثانوية، وتخرج في كلية الحقوق عام ١٩١٢.

وشارك مع كثيرين من طلاب المدارس العليا في أنشطة نادي المدارس العليا، الذي كان رئيسه آنذاك عمر لطفي ، وكذلك في الحركة التعاونية التي قادها عمر باشا لطفي و بعض زعماء الحزب الوطني. وكتب في صحف ذلك الحزب ، وشارك في المظاهرة الشهيرة التي قام بها طلبة مدرسة الحقوق في ٩ نوفمبر ١٩٠٨.

من الحزب الوطني للوفد للدستوريين

لما قامت الحركة الوطنية بقيادة سعد زغول في أواخر سنة ١٩١٨، تحول إبراهيم الدسوقي أباطة بجهدته إلى المشاركة في جهود الوفد مع بعض شباب الحزب الوطني (شأنه شأن مصطفى النحاس باشا وحافظ عفيفي باشا) ، واستقال من الحزب الوطني لينضم إلى الوفد، وقد كان من رجال النيابة الذين انضموا إلى لجنة الموظفين في ثورة ١٩١٩ .

لكن عهد إبراهيم الدسوقي أباطة بالوفد لم يطل ، إذ أنه لما تأسس حزب الأحرار الدستوريين في أواخر عام ١٩٢٢ انضم إليه ، وقد انتخب في ١٠ نوفمبر ١٩٢٢ سكرتيراً مساعداً للحزب وقد انتخب فيما بعد سكرتيراً عاما لهذا الحزب العتيد في العهد الذي كان رئيسه فيه هو الدكتور محمد حسين هيكل باشا .

وكيلا لمجلس النواب المصري

انتُخب إبراهيم الدسوقي أباطة باشا عضواً في مجلس النواب المصري عن دائرة بردين، واختير وكيلا لمجلس النواب المصري عام ١٩٣٤ في عهد الانقلاب الدستوري الذي قاده إسماعيل صدقي .

ثم أوصلته عضويته في الأحرار الدستوريين إلى عضوية الوزارة ، وقد وصلها بعد الدكتور هيكل باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا واحمد عبد الغفار باشا ، وهكذا جاءت الأربعينيات وهو أحد الأقطاب البارزين في حزب الأحرار الدستوريين، وأحد رجالهم في الوزارات الوفدية ، بل ربما كان في مكانة الرجل الثاني في الحزب ، وبهذه المكانة شارك في الوزارات التي شارك فيها.

أصبح من أبرز نماذج الوزير السياسي

وهو نموذج للوزير السياسي الناجح الذي لم يتقيد نجاحه بوزارة معينة فقد تولى الوزارة عشر مرات في تسع وزارات على مدى السنوات (١٩٤١ - ١٩٤٩)، أي أنه لم يعمل وزيراً إلا في الأربعينيات، وتولى من الوزارات أربعاً هي: الشؤون الاجتماعية (مرتين متصلتين)، والمواصلات (خمس مرات: ثلاث متواصلة ثم مرتين أخريين)، والأوقاف (مرتين)، والخارجية (مرة واحدة).

عمله الوزاري

بدأ عهده بمناصب الوزارة بعد أكثر من سنة من ترشيحه الأول لها في وزارة محمد محمود باشا و اعتراض حسن صبري باشا بشدة على هذا الترشيح ، ثم تشكيل وزارة حسن صبري باشا نفسه لوزارته (التي تشكلت في ٢٧ يونيو ١٩٤٠)، ثم تشكيل وزارة حسين سري باشا للوزارة عقب وفاة حسن صبري المفاجئة في نوفمبر ١٩٤٠ ، وهكذا فإنه لم يصبح وزيراً إلا في أخريات وزارة سري الأولي في ٢٦ يونيو ١٩٤١ ، حيث قضى الأسابيع الخمسة الأخيرة من عمر هذه الوزارة ووزيراً للشؤون الاجتماعية واحتفظ بالشؤون الاجتماعية طيلة وزارة سري باشا الثانية أي حتى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢. و بالطبع فقد انقطع عهد إبراهيم الدسوقي أباطة باشا بالوزارة طيلة عهد الوفد.

اعتراض حسن صبري على دخوله الوزارة

أما قصة أنه كان مرشحاً لدخول الوزارة في تاريخ سابق علي التاريخ الذي دخل فيه بالفعل ، فقصة مفيدة لفهم آليات تكوين النخب الحاكمة والصعود السياسي في عصر الليبرالية ، ومدى ما كان متاحاً من تداول الرأي وفرض وجهات النظر واحترامها ، وتفصيل هذه القصة أنه رشح في آخر عهد وزارة محمد محمود باشا خلفاً لرشوان محفوظ باشا عندما استقال، لكن وزير المالية حسن صبري باشا كان هو الذي اعترض علي دخوله وصعد اعتراضه إلي حد التهديد بالاستقالة علي نحو ما يرويهِ الدكتور هيكل في مذكراته، وانتظر محمد محمود باشا ريثما يخرج حسن صبري باشا من الوزارة ، فإذا بمحمد محمود باشا نفسه يخرج ويخلفه حسن صبري باشا و بالطبع فإنه لم يكن ممكناً أن يصبح إبراهيم الدسوقي أباطة باشا وزيراً في وزارة حسن صبري باشا نفسه، ولو أن إبراهيم الدسوقي أباطة دخل الوزارة في ذلك الوقت لسبقت أقدميته الوزارية أقدمية زميله وصنوه وصديقه أحمد عبد الغفار باشا.

ومن الطريف أيضاً أن أحمد عبد الغفار باشا دخل الوزارة خلفاً لمحمود باشا وقد أصبح وزيراً للزراعة بل أصبح وزيرها التقليدي، إذ تقلدها سبع مرات علي حين أن إبراهيم الدسوقي أباطة لم يتول وزارة الزراعة التي كان مرشحاً لها في البداية، وهذا أيضاً من طبيعة تداول الوزراء السياسيين للسلطة .

شهادة الدكتور هيكل باشا

و من المفيد بالطبع أن ننقل للقارئ هذه الصورة البديعة التي كتبها الدكتور هيكل في الجزء الثاني من مذكراته:

«كان طبعياً أن يحل حر دستوري في وزارة الزراعة مكان رشوان محفوظ (باشا) الحر الدستوري. ولذا اقترح محمد محمود (باشا) يوماً علي مجلس الوزراء أن يعين إبراهيم دسوقي أباطة (بك) وزيراً للزراعة. ومثل هذا الاقتراح يذكر عادة أمام المجلس للعلم. لكن الأمر في هذه المرة اختلف عما جرت به العادة. فقد اعترض حسن (باشا) صبري علي تعيين دسوقي (بك) أباطة وزيراً، وهدد بالاستقالة من الوزارة إذا تم هذا التعيين قائلاً: إذا دخل دسوقي (بك) من هذا الباب فأنا أخرج من

الباب الآخر. وسُئل عن سبب اعتراضه فلم يذكر إلا أن دسوقي (بك) كان يدفع للمرشحين في الانتخابات من الأحرار الدستوريين مالياً. ولما قيل له إن دسوقي (بك) سكرتير الحزب، وإنه كان يشرف علي عملية الانتخاب لحساب الحزب لم يغير موقفه، بل أصر عليه. وتولتتا الدهشة لهذا الإصرار ، بخاصة لأننا كنا مقتنعين بأن محمد (باشا) لم يعرض اسم دسوقي (بك) علي مجلس الوزراء إلا بعد أن اتفق عليه مع القصر، علي أن محمد (باشا) آثر أن يرجئ تعيين وزير الزراعة علي أن تحدث في الوزارة ثغرة باستقالة حسن صبري (باشا)، وقد تكون لهذه الثغرة من بعد نتائج غير محمودة. وظل منصب وزير الزراعة بعد ذلك شاغراً زمنياً غير قليل، ثم عين فيه محمد (بك) رياض».

هو الوحيد الذي أصبح وزيرا مستمرا لأكثر من ٥ سنوات

كان إبراهيم الدسوقي أباطة باشا هو الوحيد الذي حقق هذه الخاصة في عهد الليبرالية . ذلك أنه بعد انتهاء الحرب العالمية أصبح عضوا دائما في الوزارة منذ ٨ أكتوبر ١٩٤٤ وحتى ٣ نوفمبر ١٩٤٩ حين تشكلت وزارة سري المحايدة لإجراء الانتخابات التي مهدت لعودة الوفد، وعلى حين أنه قبل الحرب كان وزيرا للشئون الاجتماعية، فإنه بعد الحرب أصبح وزيرا للمواصلات، ثم للأوقاف ثم الخارجية، وقد توزعت مسؤولياته علي النحو التالي:

- تولى وزارة المواصلات في ثلاث وزارات متتالية هي وزارتا أحمد ماهر، ووزارة النقراشي الأولي (أي منذ أكتوبر ١٩٤٤ وحتى فبراير ١٩٤٦)، لكنه عند تشكيل وزارة صدقي الثالثة ترك المواصلات ليتولى الأوقاف طيلة عهد تلك الوزارة.
- فلما شكل النقراشي وزارته الثانية (ديسمبر ١٩٤٦) عمل طيلة عهدها وزيرا للمواصلات، أي كما كان في وزارة النقراشي الأولى.
- بهذا يمكن القول إن وزير المواصلات في وزارتي أحمد ماهر وفي وزارتي النقراشي باشا كان رجلاً واحداً فقط هو إبراهيم الدسوقي أباطة، فلم يعرف الرجلان وزيراً غيره للمواصلات.
- اغتيل النقراشي باشا في ديسمبر ١٩٤٨ وخلفه إبراهيم باشا عبدالهادي

في رئاسة الوزارة فتولي إبراهيم الدسوقي أباظة وزارة الخارجية لأول مرة في حياته وقد احتفظ بها منذ تشكيل الوزارة في ٢٨ ديسمبر وحتى ٢٧ فبراير ١٩٤٩ حيث عاد لتولي وزارة المواصلات، وعلي حين خرج إبراهيم عبدالهادي من الحكم في يوليو ١٩٤٩ فإن إبراهيم الدسوقي أباظة استمر وزيراً في الوزارة التالية وهي وزارة سري باشا الثالثة، (يوليو ١٩٤٩) وكانت وزارة ائتلافية، وقد تولى فيها وزارة الأوقاف طيلة عهدها.

الوزارات الأربع التي تولاهما

- هكذا فإن إبراهيم الدسوقي أباظة كان من باب الطرافة الدالة على طبيعة عمل الوزراء السياسيين وتوليهم لمسئولياتهم السياسية عمل :
- وزيراً للمواصلات خمس مرات : مع أحمد ماهر في وزارتيه، ومع النقراشي في وزارتيه، وفي نصف وزارة إبراهيم عبد الهادي .
 - وزيراً للشئون الاجتماعية مرتين مع سري باشا في آخر وزارته الأولى و طيلة وزارته الثانية وحتى عودة الوفد للحكم .
 - ووزيراً للأوقاف مرتين في وزارتي صدقي باشا الثالثة وسري باشا الثالثة .
 - و وزيراً للخارجية في أول شهرين من وزارة إبراهيم عبد الهادي باشا .
 - وقد عمل إبراهيم الدسوقي أباظة كما رأينا تحت رئاسة خمسة رؤساء وزارة هم: حسين سري باشا (ثلاث مرات)، وأحمد ماهر باشا (مرتين)، والنقراشي باشا (مرتين)، وصدقي باشا (مرة واحدة) وإبراهيم عبدالهادي (مرة واحدة).

استمراره يدل على أن الدستوريين شاركوا في حقبة السعديين بأكثر منهم

وعلي هذا النحو، فإن إبراهيم الدسوقي أباظة استمر في مقاعد الحكم باتصال طيلة خمس سنوات وشهر منذ ٨ أكتوبر ١٩٤٤ وحتى ٣ نوفمبر ١٩٤٩، وأصبح

بهذا نظريا وعمليا بمثابة النموذج الدالّ على أن الأحرار الدستوريين شاركوا في الحكم منذ أكتوبر ١٩٤٤ وحتى نوفمبر ١٩٤٩ باتصال، أي لأكثر من ٥ سنوات. وهو ما لم يحظ به أحد غيره. ذلك أن صنوه أحمد عبد الغفار لم يشترك في وزارة صدقي باشا .

وقد وصل في وزارة إبراهيم عبد الهادي إلى أن أصبح ثالث أعضاء الوزارة أقدمية بعد رئيس الوزراء وأحمد عبد الغفار باشا.

وقد زادت مشاركاته الوزارية على مشاركات رئيس حزبه وهو الدكتور هيكل باشا، لأن هيكل باشا أثر منذ تشكيل وزارة أحمد ماهر باشا الثانية ألا يتولى منصباً وزارياً وفي مقابل أن يتولى رئاسة مجلس الشيوخ.

اشتراكه في توقيع عريضة المعارضة في أكتوبر ١٩٥١

أما أهم مواقفه المعارضة للملك فاروق والوفد معاً فتمثل في توقيعه عريضة أكتوبر ١٩٥١ الشهيرة التي كان ممن وقعوها : إبراهيم عبد الهادي باشا والدكتور محمد حسين هيكل باشا ومكرم عبيد باشا ومحمد حافظ رمضان باشا ومصطفى مرعي بك وعبد الرحمن الرافعي بك باشا ورشوان محفوظ باشا وعلي عبد الرزاق باشا وطه السباعي باشا وعبد السلام الشاذلي .

معاناته بعد قيام ثورة ١٩٥٢

عاش إبراهيم الدسوقي أباطة باشا الأشهر الأولى من عمر ثورة ١٩٥٢ في ضنك وضيق وتعرّض لمضايقات عديدة، وتجاوزات في حقه، مع أنه كان من الساسة الشجعان الذين وقّعوا عريضة المعارضة ضد الملك فاروق في ١٩٥١ مع هيكل باشا وإبراهيم عبد الهادي.. لكنه كان محل هجوم من صحفيي العهد الجديد الذين كانوا لا يصلون إلى بابه في العهد القديم.

وسرعان ما توفي فكان أول الساسة الذين توفوا بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ إذ توفي في يناير ١٩٥٣ وبهذا لم يكن من الذين شملتهم المحاكمات والحراسات والتعسفات على نحو ما حدث مع إبراهيم عبد الهادي والدكتور هيكل باشا وفؤاد سراج الدين باشا وأحمد عبد الغفار باشا وعثمان محرم باشا ومحمد صلاح الدين

باشا وغيرهم. وقد كان الجو السياسي لا يزال رحبا فأقيم له حفل تأبين شارك فيه صديقه نجم الأديب الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور طه حسين وغيرهما من الأعلام لكن هذا كله لم يشفع له في عهد الثورة، ولم يجد شارعا يحمل اسمه كما وجد سليمان أباطة وإسماعيل أباطة وعزيز أباطة.

وتصادف في عصر الرئيس مبارك أن تجاوزت جريدة الأهالي في حقه (بالباطل) فقاضاها ابنه ثروت في المحاكم وكسب القضية بالتعويض الذي لم تكن الجريدة بحكم محدودية مواردها قادرة على أن تؤديه.

إبراهيم ناجي يصفه بالرجل الكامل

ننقل للقارئ الآن من نظم الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي هذه القصيدة الجميلة التي تشير إلى الوزارات التي تولاهما الدسوقي أباطة باشا حتى وقت نظم القصيدة :

أنت فوق التكريم فوق الثناء/ جلّ ما قد أسديت عن إطراء
يا عظيم الشؤون جلّت شؤون/ أنت منها في الذروة السماء
يا عظيم الأوقاف جلت أمور/ عرفتنا مواقف العظماء
لم نكرمك للوزارة والمنصب / والمجد والسنا والرواء
ويصل الشاعر إبراهيم ناجي إلى وصف ممدوحه بأنه الرجل الكامل ساردا
مبرراته في هذا الوصف بطريقة جميلة ومعبرة :

نحن قوم نهيم بالرجل الكامل / يمضي للأمر دون التواء
الرحيب الصدر القوي على / الخطب السريع الهدم السريع البناء
قد رأيناك كالمنار المعلى/ مثلاً للقوي في الأقوياء
ورأيناك في الرجال فريداً/ فاقتفينا خطاك أي اقتفاء
وحبيناك ما بنا من نفاق/ لا ولا في قلوبنا من رياء

جدد مجد الوادي

وهو أي الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي يرى الباشا الأباطي مجدداً لأمجاد الماضي والوادي والصعيد :
أي وربّي لأنت من صور /الماضي ومجد الجدود والآباء

وجلال الصعيد والملك في/ الوادي عزيز البنود ضافي اللواء

بُعث من الماضي

بل إن الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي يعتقد أنه بعث من الماضي بعد فترة من
السكون :

قد ينام التراث جيلاً فجيلاً / غافياً في مجاهل خرساء
وتنام الروح العريقة في /المجد لتبدو في طلعة سمراء
فتراها مصرية السميت والقوة /والعزم والحجى والمضاء
قسماً قد غفا الجلال ليصحو/ من جديد في وجهك الوضاء

كوكب دؤوب

أيها الكوكب الدؤوب على /الدهر بلا فترة ولا إبطاء
تصنع الخير واضحاً شبه نجم/ ساكبا نوره بعرض الفضاء
وتؤديه خافياً مثل نجم/ مستتر خافٍ خلال السماء
غير أن النفوس تعلم مسراه /وإن كان ممعنا في الخفاء
وعظيم الفعال يجمل بالإفصاح/ عنه كالسيف غب الجلاء

ضرورة الفن في تحيته

ينتهز الدكتور ناجي الفرصة ليتحدث عن ضرورة الفن في مثل هذه المناسبة
التكريمية بطريقة تقليدية لكنها أسرة في معناها الشعاري الذي أجاد تقديمه :
ما جمال الربيع في الروض إن لم/ يشد طير في الروضة الغناء
ما جمال السماء والبدر إن لم/ يشد سار في الليلة القمراء

البدر والربيع

وفي قصيدة أخرى تفيض بالرقّة والعذوبة يخاطب الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي
الباشا الأباطي مهنتاً له بما ناله من متاع المجد الدنيوي ومعيراً عن فرحة مصر
كلها له ، وهو يصل في تكريمه والإعجاب به إلى أن يستعير له صفات البدر المنير
و الربيع ذي الروض :

متى نلتها كانت لأنفسنا منى / تفتت تجد مصرأ بأجمعها هنا
وما بعجيب موطن البدر في العلى / وما بجديد أن يرى الأفق مسكنا
ولكن قلب الحر تعروه نشوة / فيثني على الآلاء وضاحة السنا
إذا أخذ البدر المنير مكانه / وملك آفاق السما وتمكنا
فذلك تكريم الربيع لروضه / جلاها الأباطيون وارفة الجنى
أجل روضة صارت لكل عظيمة / وللفضل والآداب والعلم موطنا

القوافي العصية تسرع إلى مدحه

ويصل الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي إلى القول بأن الشعر نفسه يشاركه فرحته
بالباشا حتى إن القوافي العصية أو الصعبة تسرع إلى مدحه محاولة أن ترد له جميله
على الشعراء :

عصي القوافي سار نحوك مسرعاً / ولبأك من أقصى الفؤاد وأذعنا
وأنت الذي فك القيود جميعها / عن الشعر تأبى أن يهان فيسجنا
إذا المعدن الصافي دعا الشعر مرة / بذلنا له من أجود الشعر معدنا
دسوقي إذا أقللت فاقبل تحيتي / فما أنا شاديهم ولا خيرهم أنا

الشاعر مندوب المحبين

ثم يقدم الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي نفسه باعتزاز شديد بوصفه مندوبا عن
إخوانه المحبين للباشا وأسرته :

ولكنني صوت المحبين كلهم / ومن روضك الغالي وبستانهم جنى
فراش على مصباح مجدك حائم / وأي فراش من جلالك ما دنا
وإني صدى الهمس الذي في قلوبهم / فدعني أقم عما يكون معلنا

النبوغ في مصر

وفي موضع آخر يعتبر الدكتور إبراهيم ناجي أن واجبه يحتم عليه أن يوظف
شعره في وظائفه الكفيلة بالحفاظ للنبوغ على حقه في المديح الواجب وهو يقول :
واضياع النبوغ في مصر إن لم / تتحدث منابر الخطباء
واضياع النبوغ في مصر إن لم / يك تخليده على الشعراء

طاقة الشعر طاقة الورد معنى/ جلّ قصداً وقلّ في الإهداء

الباب السّمح للمروءة

كيف ننسأك والعفاة على/ بابك حشد يموج بالبأساء
الشريد الطريد والعامل/ المرهق يشقى من صبحه للمساء
وبيوت هي العريقة في/ الأمجاد صارت عريقة في الشقاء
لم تطق أن ترى دموع/ اليتامى تتراعى على أكف السخاء
والأيامى كالكأس بعد الندامى/ ذكرت حظها من الصهباء
وقف الدهر دونهم كل باب/ طرّقوا صم عن ذليل النداء
غير باب من المروءات سمح/ لك ما ردّ مرة عن نداء

أنت ورد النبوغ

و هاهو الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي يخاطب ممدوحه خطابا مباشرا حافلا بكل الإخلاص في المديح و مطرزا بالتقدير العميق لمكانة الرجل في حياة قومه :

أنت ورد النبوغ جادت به/ الدنيا لقوم إلى المعالي ظماء
كلما أطلعت لهم عبقرياً/ جعلوا منه معقداً للرجاء
حمدوا فيك يومهم واطمأنوا/ مشرئبين للغد المترائي
كيف ننسأك في الحمامة حراً/ طاهراً ذيله عفيف الرداء
وقف المجلس المحير يوماً/ مرهف المسمعين بالإصغاء
إذ يرى فيك نائباً وخطيباً/ دامغاً بالحقيقة البيضاء
مفعماً مقحماً قوياً جريئاً/ ماحقاً للخصوم والأعداء

الشاعر يعوذ الأباظيين بالرقى

وهذه قصيدة أخرى للشاعر الدكتور إبراهيم ناجي يعزي فيها الأباظيين لكنه لا يقف فيها عند مديحه لصديقه الوزير ولكنه يمدح العائلة الأباظية إكراماً له وهو يتمنى لهذه العائلة الحفظ من نوائب الدهر ولو كان هذا الحفظ بالرقى :

إن السراة الأباظيين قد عظموا/ عن طوق ند وعن تحليق أضداد
تخطف القدر الجاري أحاسنهم/ بصيرفي المنايا أو بنقاد

كم صحت والعين تذري الدمع في أسف/ على الجواهر في كف الردى العادي
ألا رقى للأباطيين تحفظهم/ على الحوادث من أنظار حساد

وفاته

توفي إبراهيم الدسوقي أباطة باشا في ٢٢ يناير عام ١٩٥٣.

الفصل الثالث عشر المهندس إبراهيم فهمي كريم

وزير الأشغال الذي وقع اتفقيه مياه النيل في ١٩٢٩

نهر النيل فوق النزاعات الحزبية

ظلت أمور نهر النيل من الأمور التي تعارف اسلافنا المصريون على انها تعلق في أهميتها الاستراتيجية فوق كل شيء لتكون فوق توجهات السياسة والحرب ومن باب أولى فوق النزاعات الحزبية ، واحتفظت شؤون النيل ومياهه بهذا الطابع حتى حلت على مصر نكبة لجنة السياسات وتصورات الدكتور احمد نظيف البائسة لشئون الهندسة بعيدا عن المؤسسات الهندسية التقليدية التي تواصل انضباطها منذ عهد الفراعنة .

وأكر في هذا المقام انني أعلنت من على شاشات التلفزيونات المصرية انقباضي من اختياره لأستاذ في كلية الهندسة ليكون وزيرا للأشغال ، وقلت يومها ان الرئيس عبد الناصر و السادات أخذوا بنصيحة المهندس احمد عبده الشرباصي في الا يقحما على مؤسسة النيل أحدا ممن لم يعمل فيها من البداية ، وكانت وجهة نظري أن أية قوة متربصة بخط من خطوط دفاعنا عن ثوابتنا وقضايانا ستفهم اوتوماتيكيا اننا انفرط في ثوابتنا بدعاوى الحداثة ومن ثم فإنها سوف تبدأ في تنفيذ ما كانت تخشى تنفيذه . و حين كان الصحفيون يسألونني عن مثل واضح أوكد به نظرتي فد كنت أضرب أمثلة كثيرة ، وعلى سبيل المثال فان مندوب مصر في توقيع اتفاقية توزيع مياه النيل المعروفة باتفاقية ١٩٢٩ (وهو المهندس إبراهيم فهمي كريم باشا) كان في مسلكه السياسي في تلك الفترة أقرب الى التأمير لكن أحدا لم يفكر في تغيير هذا الوزير في اثناء الترتيب للمفاوضات ثم للاتفاقية . وذلك على الرغم من انه كان قد أصبح وزيرا للمرة الأولى في وزارة النحاس باشا الأولى ١٩٢٨ مارس ١٩٢٨ واستمر في وزارة محمد محمود باشا يونيو ١٩٢٨ رغم تأمره على الائتلاف الوفدي او بسبب مشاركته في هذا التأمير .

مكانته العائلية بين وزراء الأشغال

كان المهندس إبراهيم فهمي كريم باشا (١٨٨٤ - ١٩٥٨) مهندس ري مصري بارز، وهو من باب الطرافة الدالة على مكانة المسائل الفنية وزيرا للأشغال، وزوجا لابنة وزير سابق عليه في تولي وزارة الأشغال هو المهندس محمود باشا صدقي، وعديلا لوزير لاحق به في تولي الوزارة في عهد الرئيس عبد الناصر وهو المهندس موسى عرفة .

عرف المهندس إبراهيم فهمي كريم باشا في أولي التشكيلات الوزارية التي اشترك فيها باسم إبراهيم فهمي من دون اسم ثالث، ثم عرف باسم إبراهيم فهمي كريم بدءاً من مشاركته في وزارة إسماعيل صدقي الأولي، وتعتقد بعض الكتب أن الاسم لشخصين مختلفين نظراً لأن المدة قريبة . كان هذا المهندس واحداً من وزراء الأشغال الذين تولوا هذه الوزارة ما بين عهد إسماعيل سري (الأب) وعهد حسين سري (الابن). و في مجال عمله فإنه قام بدور مهم في اتفاقية مياه النيل، وهي الاتفاقية التي وقعت في عهد محمد محمود باشا، وإن كان العمل من أجل التوصل إليها قد بدأ قبل ذلك.

ذكره السياسي لا يأتي إلا مصحوباً بالانتقاد

لكن ذكره في الأدبيات السياسية الوطنية لا يأتي إلا مصحوباً بالانتقاد بسبب اشتراكه غير المبرر في مؤامرة سياسية مبكرة، فقد كان أحد الثلاثة الذين انضموا مع محمد محمود باشا لتصديق الائتلاف الوزاري الذي كان النحاس باشا يستند إليه في رئاسة الوزارة، وذلك تمهيداً لتولي محمد محمود رئاسة الوزارة فيما عرف في التاريخ المعاصر علي أنه المؤامرة علي الائتلاف الذي كان قد التأم قبلها بعامين (في ١٩٢٦ برئاسة الزعيم سعد زغلول) وقد نجحت هذه المؤامرة التي تمت بموافقة ملكية، واستقال النحاس باشا وكلف الملك محمد محمود بتشكيل الوزارة واستبقى إبراهيم فهمي فهمي كريم باشا في منصبه كوزير للأشغال .

نشأته وتدرجه

ولد المهندس إبراهيم فهمي كريم سنة ١٨٨٤، وتلقى تعليماً مدنياً، وعمل مفتشاً للري بالدلتا، ثم تولى منصب مفتش عموم الري في مصر، وشارك في إنجاز عدد مهم من مشروعات الري في مصر. وتوج تدرجه بان صار وكيلاً لوزارة الأشغال العمومية (يناير ١٩٢٧).

توليه الوزارة

تولى المهندس إبراهيم فهمي كريم وزارة الأشغال العمومية في وزارة النحاس باشا الأولي (مارس ١٩٢٨ - يونيو ١٩٢٨)، وكانت وزارة ائتلافية، وبقي إبراهيم فهمي كريم في الحكم وزيراً للأشغال في وزارة محمد محمود الأولي (يونيو ١٩٢٨ - أكتوبر ١٩٢٩)، لكنه ترك الحكم مع قدوم وزارتي عدلي يكن باشا ثم وزارة النحاس باشا الثانية.

عاد المهندس إبراهيم فهمي كريم إلي تولي الأشغال بعد ثلاثة أسابيع من تشكيل وزارة صدقي باشا الأولي (١٢ يوليو ١٩٣٠)، واحتفظ بمنصبه حتي نهاية عهد الوزارة، ثم تولى منصب وزير المواصلات طيلة الوزارتين التاليتين وهما وزارة صدقي باشا الثانية (يناير ١٩٣٣ - سبتمبر ١٩٣٣)، وعبد الفتاح يحيي باشا (سبتمبر ١٩٣٣ - نوفمبر ١٩٣٤).

علاقته بصدقي باشا ورجال الملك

وقيل إنه تولى الوزارة رغماً عن صدقي لأنه كان من الساسة المرتبطين ببعض رجال الملك فؤاد الأقوياء، ومن الطريف أن بعض مصادر التاريخ تشير إلي أن الوزارة استقالت بسببه وبسبب أزمتته مع صحيفة «السياسة».

حزب الشعب

وفي ذلك العهد شارك إبراهيم فهمي كريم في أنشطة حزب الشعب وكان عضواً في اللجنة التنفيذية لذلك الحزب الملكي محدود التأثير والشعبية وقصير العمر (ديسمبر ١٩٣٠).

وبهذا فإن إبراهيم فهمي كريم تولى وزارتين فقط هما الاشغال والمواصلات وشارك في خمس وزارات وعمل مع أربعة رؤساء وزراء، وهو الوحيد الذي عمل وزيراً في وزارات الأقطاب السياسيين الثلاثة لعقد الثلاثينيات: النحاس، ومحمد محمود، وصدقي(!!) لكن وجوده أصبح في الذاكرة التاريخية مرتبطاً بعهد الدكتاتوريتين اللتين حدثتا علي يد محمد محمود ثم إسماعيل صدقي.

دوره الكبير في جمعية المهندسين المصرية

كان من الطبيعي أن يفقد المهندس إبراهيم فهمي كريم فرصته في العمل الوزاري بعد صعود نجم حسين سري باشا الذي وصل لرئاسة الوزارة أيضا . أما ما بقي منه للتاريخ فهو أنه كان له نشاط واسع ومثمر في جمعية المهندسين المصرية منذ تأسيسها .

تكريمه ووفاته

منح إبراهيم فهمي كريم الباشوية (أكتوبر ١٩٣٠). وترك ذرية مباركة منها حفيده الذي يحمل اسمه وهو مهندس مشهور.
توفي إبراهيم فهمي كريم سنة ١٩٥٨ .

الفصل الرابع عشر : عبد السلام الشاذلي باشا

الذي شغلته الطبقية عن الوطنية

مكانة أبنائه في عهد الثورة

بدأت معرفتي باسم عبد السلام الشاذلي باشا بطرفة موحية، حين بدأت الاتصال بالمجتمع العلمي عضواً في في المجمع المصري للثقافة العلمية والاتحاد العلمي المصري، ذلك أنه لفت نظري الاسم الطويل للدكتور خالد عبد السلام الشاذلي العالم الزراعي الجليل ومؤسس كلية زراعة الإسكندرية ، والذي كان يحظى بمكانة كبيرة بين العلماء ، فالعادة في أنداده أن يقتصروا على اسمين فقط ، لكن حرص صاحب الاسم على اسمه الكامل كان له ما يُبرره من اعتزازه بوالده الكبير الذي كان من رموز الليبراليين المتتورين والنزهاء.

بعد أسابيع قليلة علمت أن الشخصية البارزة في مجال الرياضة الأستاذ محيي الدين الشاذلي رئيس نادي اسبورتينج السكندري الشهير ، والذي كان من الأسماء المرشحة لأن تتولى مسؤولية وزارة كالشباب والرياضة كان هو الآخر ابناً لهذا الوزير العظيم.

منحة البحيرة لتخليد ذكرى الشيخ محمد عبده

كان عبد السلام الشاذلي باشا نموذجاً للإداريين المتفتحين الذين لعبوا أدواراً سياسية متقدمة في عهد الليبرالية، ويكفي أن أدلل على تفتحه بأن أذكر قصة المنحة التي نظمتها مديرية البحيرة في عهده و خصصتها لتخليد ذكرى الشيخ محمد عبده ابن البحيرة، وأن هذه المنحة حُصّصت لتمويل بعثتين دراسيتين اثنتين من خريجي الأزهر في أوربا صار أولهما وزيراً للأوقاف ومديراً للجامعة هو الدكتور محمد البهي، كما صار ثانيهما الدكتور محمد عبد الله ماضي وكياً للأزهر الشريف..

أوبرا دمنهور

قبل أن يُصبح عبد السلام الشاذلي باشا مديراً للبحيرة فيما بين ١٩٣٠ - ١٩٣٣ كان قد عمل مديراً لأسيوط وأثبت وجوده في المديريتين بيد أن وجوده في البحيرة كان أقوى وأبقى اثراً، فهو الذي أنشأ مجلس المبنى البلدي وهو الذي أنشأ دار أوبرا دمنهور (التي كانت تُسمى بتياترو وسينما فاروق) والتي جُددت مؤخراً ، وقد مكّنته علاقته من أن يدعو الملك فؤاد لوضع حجر الأساس لهذين المبنىين التوأمين في ٨ نوفمبر ١٩٣٠ في عهد طغيان إسماعيل صدقي باشا .
في ١٩٣٨ رشّحته خبرته لينتقل محافظاً للقاهرة بعد أسيوط والبحيرة محققاً مجداً مبكراً فيما يسمى الإدارة المحلية .

عضوية الشيوخ

وفي ١٩٣٩ أصبح عبد السلام الشاذلي باشا عضواً في مجلس الشيوخ وسرعان ما اختير وزيراً للشئون الاجتماعية في وزارة علي ماهر الثانية (أغسطس ١٩٣٩) وكان هو أول وزير للشئون الاجتماعية التي تأسست على يد علي ماهر باشا ، فلما تآزمت الأمور السياسية حول علاقة الزعيم عبد الرحمن عزام بالأمور الحربية مع بدء الحرب العالمية الثانية تبادل الشاذلي باشا مع عبد الرحمن عزام باشا الموقع الوزاري فأصبح عزام وزيراً للشئون الاجتماعية بينما أصبح عبد السلام الشاذلي وزيراً للأوقاف .

تصدى لحماية انتماء نادي الجزيرة للبريطانيين

من المفارقات الطريفة في حياة هذا الرجل العظيم الذي انشغل بالطبعية عن الوطنية أنه كان من تصدى لحماية انتماء نادي الجزيرة الرياضي بالزمالك للبريطانيين ، ذلك أن هذا النادي الذي ازدهر على يد اللورد كرومر عقب الاحتلال البريطاني لمصر في ١٨٨٢ كان رمزاً من رموز الاحتلال فلما بدأت المقاومة الشعبية للبريطانيين في ١٩٥١ عقب إلغاء النحاس باشا لمعاهدة ١٩٣٦ اتخذ عبد الفتاح حسن باشا وزير الشئون الاجتماعية الوفاي قراراً بتخصيص أرض هذا النادي للمنفعة العامة بما يعني تمصيره وتمصير مبانيه و مؤسسته على نحو ماهو

الآن ، لكن الشاذلي باشا باعتباره وزيراً سابقاً للشئون اعترض دون جدوى على قرار وزارة الوفد .

تصوير مجلة الرسالة لحواره مع عبد الفتاح حسن باشا

ومن الجدير بالذكر أن مجلة الرسالة وهي المجلة الثقافية الأولى و الرصينة أشارت إلى لقاء هذين الوزيرين حول هذا الموضوع تحت عنوان " كلم اللسان " وهذا هو نص ما أوردته هذه المجلة العظيمة :

" في يوم ١٣ ديسمبر ١٩٥١ استقبل معالي عبد الفتاح حسن باشا وزير الشئون الاجتماعية سعادة عبد السلام الشاذلي باشا وجرت بينهما مناقشة حول استيلاء الحكومة على نادي الجزيرة ودافع الوزير عن وجهة نظر الحكومة.

" قال عبد السلام باشا للوزير: كان يجب عليك أن ترجع لوزراء الشئون السابقين لتستشيرهم قبل أن تقدم مثل هذا الاقتراح فإننا نعرف هذا النادي (الإنجليزي) ويظهر أنك لا تعرفه ولعلك لم تزره.

" فقال عبد الفتاح باشا: لقد استشرت ضميري وراعت في الاقتراح ما يقتضيه صالح بلادي دون أي اعتبار.

" واحتدت المنافسة وقال الشاذلي باشا: إن قرار مجلس الوزراء بتخصيص أراضي نادي الجزيرة للمنفعة العامة هو جريمة.

مجلة الرسالة تضع عنواناً قاسياً لتعليقها على سلوكه السياسي

و تحنت عنوان " وهكذا سقط الرجل " قالت مجلة الرسالة :

" ورد عبد الفتاح باشا على الشاذلي باشا قائلاً: (أنا لا أسمح لك بهذا الكلام فإن إلغاء ناد إنجليزي ليس الجريمة وإنما الجريمة ما ترتكبه أنت الآن من دفاع عن هذا النادي الإنجليزي) .

مارواه نجيب محفوظ عن صرامته مع الموظفين في وزارة الأوقاف

أما نشاطه في وزارة الأوقاف فقد بقي منه ما تناقلته الروايات عن صرامته مع الموظفين، ومبالغته في عقاب المقصرين منهم، والسبب في هذا ما رواه نجيب

محفوظ الذي كان سكرتيراً برلمانياً لوزير الأوقاف منذ عهد أستاذه الشيخ مصطفى عبد الرازق، وهي قصة طريفة .

جهوده في وزارة الشئون الاجتماعية

- بدأ سياسة حماية الفلاح عن طريق بنك مركزي للتعاون
- حرص على تقديم جرعات الوعي بالشئون الاجتماعية : علاقات الأسرة والزواج وروح العائلة ومحاربة الرذيلة والزنا وكان من أوائل من اقترحوا تشريعات محددة لمكافحة البغاء ومنعه، وتنشيط بوليس الآداب.
- عُنِيَ بحماية الطفولة المشردة بتشريع قانون ينزع ولاية الآباء غير الصالحين لتولي مسؤولية الأبوة، وتدخّل الدولة في هذه المسؤولية.
- أدخل فحوص ما قبل الزواج من أجل تجنب الحالات الصارخة من الأمراض الخلقية
- رفع الحد الأدنى للتردد على دور السينما وعلى ارتياد النوادي والمحال الترفيهية التي تُقدم الخمر
- بدأ تشريعات مكافحة التسول ومحاولة القضاء عليها
- بدأ سياسات محاربة البطالة، مع تحسين أحوال العمال
- اهتم بحالة السجون ونظمها وعلاقتها بالمجتمع ومسئولية المجتمع عن أسر المسجونين، وشجع توظيف المسجونين في أعمال التطهير
- عني بالسياسات العاملة على منع العودة إلى الجريمة وذلك برعاية من أتموا مدة العقوبة في السجن وتوجههم إلى مصادر للدخل الشريف.

جهوده في معارضة الوفد

اقتصرت إسهامات عبد السلام الشاذلي باشا في المناصب الوزارية على هاتين الوزارتين اللتين تعاقب عليهما في وزارة واحدة هي وزارة علي ماهر الثانية التي خلفتها وزارة حسن صبري باشا في يونيو ١٩٤٠ وكان هذا آخر عهد الشاذلي بالمناصب الوزارية لكنه ظل فاعلاً في الحياة البرلمانية عضواً في مجلس الشيوخ ومعارضاً قويا للوفد ويُذكر له من معارضاته الشهيرة للوفد أنه:

▪ كان هو الذي دافع عن اعتقالهم وزارة مصطفى النحاس باشا في ١٩٤٢ بسبب نشاطهم المعادي للحلفاء وكان من هؤلاء علي ماهر باشا رئيس الوزراء الذي عمل هو نفسه تحت رئاسته، ومحمد طاهر باشا والنبيل عباس حليم وكلاهما على علاقة بالأسرة المالكة لكن علاقتهما بدول المحور كانت مزعجة للحلفاء في اثناء المراحل الحرجة من الحرب.

▪ كان من معارضي فصل مكرم عبيد باشا من مجلس النواب ١٩٤٣ بعد نشره الكتاب الأسود (يذكر أن فصل مكرم عبيد تم بموافقة ٢٠٨ عضواً ومعارضة ١٧ فقط).

▪ كان لعبد السلام الشاذلي موقف شجاع في الدفاع عن اثنين من الضباط الوطنيين أديا اعتراضاً من نوع حماسي على حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ (على نحو ما فعل الرئيس محمد نجيب نفسه) وقد أصبح لهذين الضابطين وضع متميز في التاريخ العسكري المصري وهما محمد كامل الرحماني وأحمد فؤاد صادق.

اشتراكه في توقيع عريضة المعارضة في أكتوبر ١٩٥١

أما أهم مواقفه المعارضة للملك فاروق والوفد معاً فتمثل في توقيع عريضة أكتوبر ١٩٥١ الشهيرة التي كان ممن وقعوها : إبراهيم عبد الهادي باشا والدكتور محمد حسين هيكل باشا ومكرم عبيد باشا ومحمد حافظ رمضان باشا ومصطفى مرعي بك وعبد الرحمن الراجعي بك وإبراهيم الدسوقي اباطة باشا و رشوان محفوظ باشا وعلي عبد الرزاق باشا وطه السباعي باشا .

فصل الدكتور عمر الشريف عنه

وقد نشر الدكتور عمر الشريف ترجمة جيدة له في كتاب "أعلام منسية من أرض الغربية" الذي صدر عام ٢٠١٧ عن دار بيلومانيا للنشر والتوزيع.

المحتويات

هذا الكتاب ٦

الباب الأول : رجال الدولة ٩

الفصل الأول : الشيخ محمد مصطفى المراغي ٩

٩	أبرز السياسيين النخبويين
٩	نحترم رأيه السياسي ونخالفه في جزئية
١٠	النحاس باشا رشحه للمنصب مع أنه لم يكن وفديا
١١	قدراته الشخصية بعيدا عن المنصب
١١	النموذج المضي لفضل الإسلام على السياسة والتشريع
١١	امتداد فضله في التشريع
١٢	إفادة المسيحيين من إصلاحه التشريعي
١٢	دوره في الإصلاح التعليمي
١٢	تقديره لقيمة الوقت
١٣	منارة عالمية
١٣	القدرة على التقاط الجواهر
١٤	علاقته الوثيقة بالأحرار الدستوريين
١٤	كان شخصية نادرة لاشك في هذا

الفصل الثاني : إبراهيم عبد الهادي باشا ١٥

من أسرع به القدر في الخير والشر ١٥

١٥	مكانته في عصره
١٥	وصل إلى ما يستحق بأسرع مما يُتوقع
١٥	ثاني اثنين توليا رئاسة الوزارة بعد رئاسة ديوان الملك فاروق
١٦	نشاطه
١٦	الثورة الطلابية
١٧	رئيسا للديوان الملكي
١٧	أول اسم في تعريضة المعارضة في أكتوبر ١٩٥١
١٧	قيمة معارضته
١٨	تدافع الحظ السيئ
١٨	تقديمه للمحاكمة بعد قيام الثورة
١٨	الحكم عليه بالإعدام
١٩	حقيقة محنته مع ثورة ١٩٥٢
١٩	إعادة أملاكه إليه
٢٠	تتكيل نظام ٢٣ يوليو به
٢٠	زيارة الرئيس أنور السادات له بيئته
٢١	نال ترضيتين في أخريات حياته
٢١	مفاجأة : سيارة زوجته كانت تحمل الطعام للإخوان

الفصل الثالث عبد الرحمن عزام باشا ٢٢

أول زعيم قررت ثورة يوليو الإطاحة به بعد الملك فاروق ٢٢

٢٢	مكانته التاريخية
٢٢	نجاح شخصي و تاريخي
٢٢	قيمته الرمزية
٢٣	لم تكن الخريطة الدولية الجديدة تتحمل وجوده
٢٣	شخصيات قرر الأمريكان تنحيها عن الدور السياسي
٢٤	لم يكن مسموحا بوجود أمثاله في الصورة

٢٥	نشأته وتكوينه الثوري
٢٥	عمومته للدكتور عبد الوهاب عزام
٢٥	دوره في حروب البلقان
٢٦	دوره في الجمهورية الطرابلسية
٢٦	اندماجه في السياسة
٢٦	عمله الدبلوماسي
٢٧	توليه الوزارة
٢٧	دوره في تأجيل الموافقة إعلان الحرب علي دول المحور
٢٧	رواية إبراهيم عبد الهادي عن موقفه
٢٨	إهاتة عبد الرحمن عزام لحسين سري باشا
٢٩	صاحب فكرة الجيش المرابط
٢٩	رؤيته الاجتماعية
٢٩	دفاعه عن عروبة مصر
٣٠	مساجلاته مع الدكتور طه حسين
٣٠	إيمانه المبكر بالوحدة العربية
٣٠	تحوله من الدعوة للعمل المؤسسي
٣١	العمل للعروبة والعمل للإسلام
٣١	أداؤه في الجامعة العربية
٣١	أول من مارس دبلوماسية المكوك
٣٢	احترام نظم الحكم القائمة في كل دولة عربية
٣٢	كلمته في افتتاح الجامعة
٣٢	فلسطين علي رأس اهتمامات الجامعة
٣٢	قرار التطوع في حرب فلسطين
٣٢	تخوين عبد الرحمن عزام
٣٣	دعم المقاومة الشعبية في قناة السويس
٣٣	دعوه لقضية اندونيسيا
٣٤	سياسة التقارب العربي مع الهند
٣٤	مساعدته لدول المغرب العربي على الاستقلال
٣٤	زياراته لباريس
٣٥	شهادة جميل عارف عن الفارق بين الزيارتين
٣٥	استقالته من امانه الجامعة
٣٦	فكره السياسي في مرحلة التقاعد
٣٦	كتابه «الرسالة الخالدة»
٣٦	تكريمه
٣٧	آثاره:
٣٧	مذكراته
٣٧	وفاته

٣٨ الفصل الرابع : الزعيم محمد صالح حرب باشا

٣٨ زعيم ثورة ١٩١٥ وفائد النصر في معركة وادي ماجد

٣٨	النظير الوحيد للرئيس السادات في الحقبة الليبرالية
٣٨	جمع بين صداقة الأستاذ العقاد و الإمام الشهيد البنا
٣٨	قيادته ثورة ٢٧ نوفمبر ١٩١٥
٣٩	قيادته المنتصرة لمعركة وادي ماجد ديسمبر ١٩١٥
٣٩	نشأته وأصوله
٤٠	الأصول السودانية والمصرية
٤٠	رحيل والده مع قيام الثورة المهديّة
٤٠	لمعانه في وظائف خفر السواحل
٤١	صعوده السياسي و التنفيذى بعد ثورة ١٩١٩

٤١	وكيلا لمصلحة السجون
٤١	مديرا لخفر السواحل و وزيرا في عام واحد
٤١	قيمة توليه الوزارة
٤٢	مسابقة الأناشيد العسكرية
٤٢	جمعية الشبان المسلمين
٤٢	الانطباعات عنه في الحرب العالمية الثانية
٤٢	مع الإخوان وفلسطين
٤٣	استضافة مؤتمر الاخوان في ١٩٤١
٤٣	تكريمه

الباب الثاني : الوفديون ٤٤

٤٤ الفصل الخامس : فؤاد سراج الدين باشا

٤٤ الزعيم الذي أحيا السياسة بعد أن أماتها الثورة

٤٤	مكانته في التاريخ الوطني
٤٤	توجهاته الاشتراكية
٤٥	هو الذي حارب من أجل حرية الصحافة
٤٥	موقفه من الإصلاح الزراعي
٤٦	أول من بذر فكرة الاستعانة بالاكاديميين
٤٦	مشكلة الدكتور زكي عبد المتعال
٤٧	النماذج الممتازة التي دفع بها
٤٧	ملك التحالفات السياسية
٤٧	تحالفه مع الإخوان في ١٩٨٤
٤٨	تحالفاته في تأسيسه للوفد
٤٨	حرصه على جذور الماضي القريب
٤٨	الانتقادات الشهيرة لمواقفه
٤٩	أخلاقه العالية
٥٠	نموذج النزاهة والنجاح

٥١ الفصل السادس : على زكي العرابي باشا

٥١ الذي ابتدع المصطلح القائل بأن البرلمان سيد قراره

٥١	معنى مصطلح سيد قراره
٥١	قصة المصطلح
٥٢	قيمه السامية في وضع القوانين
٥٢	نشأته و تكوينه
٥٢	مناصبه الوزارية
٥٣	الباشوية
٥٣	علاقته بالرئيس عبد الناصر
٥٤	القصة الخيالية عن انقلابه في حرب ١٩٥٦
٥٤	الخطأ الشائع في اسمه
٥٤	ذريته
٥٤	آثاره العلمية
٥٤	في القانون الدستوري
٥٥	آثاره العلمية في القانون الجنائي

٥٦ الفصل السابع : محمد صبري أبو علم باشا

٥٦ الرجل الذي تعانق الخصوم في جنازته

٥٦	بطل استقلال القضاء
----	--------------------

٥٦	نشأته
٥٧	نشاطه الثقافي
٥٧	عضوية البرلمان المبكرة
٥٧	إخلاصه للمحاماة
٥٧	خلف مكرم عبید سكرتيراً عاماً للوفد
٥٧	لقاء النحاس باشا و مكرم باشا في جنازته
٥٧	توليه وزارة العدل
٥٨	الباشوية
٥٨	إيمانه بالعدالة الاجتماعية
٥٨	جريدة صوت الأمة
٥٨	إلغاء الامتيازات الأجنبية
٥٩	الدكتور محمود كامل يصف شخصيته

٦٠ الفصل الثامن : عبد الفتاح باشا حسن

٦٠ أبرز القضاة الذين تحولوا إلى رجال دولة

٦٠	روايات عن اعتذاره عن العمل مع الرئيس عبد الناصر
٦٠	بدايته في العمل التنفيذي
٦١	عمله مديراً لمكتب وزير الداخلية
٦١	خوضه انتخابات ١٩٥٠
٦١	وكيلاً لوزارة الداخلية
٦١	وزيراً للدولة ثم للشئون
٦٢	نجاحاته السياسية
٦٢	المقاومة الشعبية
٦٢	تربص ٢٣ يوليو به
٦٣	إدراك الغربيين لكفائته
٦٣	عودته للسياسة في السبعينيات
٦٤	اعتقالات سبتمبر ١٩٨١
٦٤	مذكراته

الباب الثالث : رجال القصر ٦٥

٦٥ الفصل التاسع : حسن يوسف باشا

٦٥ الذي حرمه الملك فاروق من رئاسة الديوان الملكي ٤ مرات

٦٥	نشأته وحياته الوظيفية
٦٦	توجهاته السياسية المبكرة
٦٦	الفترات التي تولى فيها رئاسة الديوان بالنيابة
٦٦	رؤساء الديوان الذين عمل معهم
٦٧	ترشيحه سفيراً لمصر في الولايات المتحدة الأمريكية
٦٧	انتقام علي ماهر منه
٦٧	السبب الذي منعه من رئاسة الديوان
٦٨	الأمريكيون يثمنون موقفه من الحرب الكورية
٦٨	أفرانه

٦٩ الفصل العاشر : السفير عبد الفتاح عمرو باشا

٦٩ الباشا الأسيوطي السفير و بطل الإسكواش الإنجليزي

٦٩	مكانته في بريطانيا قصته والرياضة و الإسكواش
٧٠	نشأته و دراسته
٧٠	تعبير طه حسين الذي أنصفه من حيث أراد انتقاده

٧١	علاقته بأحمد حسنين باشا
٧١	تعيينه في السلك الدبلوماسي وصعوده السريع
٧٢	عودته المفاجئة إلى بريطانيا للمشاركة في عزاء الملك جورج السادس
٧٢	و تتويج الملكة إليزابيث
٧٢	قصة زواجه السري
٧٣	نجاحاته الدبلوماسية
٧٤	ارتباط اسمه بحريق القاهرة
٧٤	فصله بعد قيام ثورة ١٩٥٢
٧٤	قصة تجديده لجواز سفره المصري
٧٦	وفاته

٧٧ الباب الرابع الدستوريون والمستقلون

٧٧ الفصل الحادي عشر: أحمد خشبة باشا

٧٧ كلمة السر في ظلم الوفد والانقلاب عليه

٧٧	كان عضوا في أكبر عدد من وزارات ما قبل الثورة
٧٧	ما يروى عن وساطته للرئيس عبد الناصر
٧٨	بعد الثورة
٧٨	بداية علاقته بمحمد محمود باشا
٧٩	مآثره السياسية
٧٩	بداياته السياسية
٧٩	بداياته الوزارية
٨٠	اشتراكه في الائتلاف الوزاري
٨٠	بداية توليه وزارة الحقانية
٨١	اشتراكه في تصديق الائتلاف الوزاري
٨١	أصبح قاسماً مشتركاً في وزارة الأقلية
٨١	تقدمت أسبقيته
٨٢	معارضته معاهدة ١٩٣٦
٨٢	عودته مع محمد محمود باشا في نهاية ١٩٣٧
٨٢	لم يشترك مع حسن صبري وعاد في اثناء وزارة سري باشا
٨٣	ملخص إسهاماته الوزارية
٨٣	وفاته

٨٤ الفصل الثاني عشر: إبراهيم الدسوقي باشا أباطة

٨٤ السياسي الذي استشهد الشاعر إبراهيم ناجي بسبب مدحه

٨٤	مكانته في ديوان الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي
٨٤	حبه للأدباء
٨٥	شهرة ابنه شامل وثروت
٨٥	ثاني وزير في تاريخ العائلة الأباطية
٨٥	التعريف بسليمان أباطة وإسماعيل أباطة
٨٦	نشأته
٨٦	من الحزب الوطني للوفد للدستوريين
٨٧	وكيلاً لمجلس النواب المصري
٨٧	أصبح من أبرز نماذج الوزير السياسي
٨٧	عمله الوزاري
٨٨	اعتراض حسن صبري على دخوله الوزارة
٨٨	شهادة الدكتور هيكل باشا
٨٩	هو الوحيد الذي أصبح وزيراً مستمراً لأكثر من ٥ سنوات
٩٠	الوزارات الأربع التي تولاها

٩٠	استمراره يدل على أن الدستوريين شاركوا في حقبة السعديين بأكثر منهم
٩١	اشتراكه في توقيع عريضة المعارضة في أكتوبر ١٩٥١
٩١	معاناته بعد قيام ثورة ١٩٥٢
٩٢	إبراهيم ناجي يصفه بالرجل الكامل
٩٢	جدد مجد الوادي
٩٣	بُعث من الماضي
٩٣	كوكب ذوؤب
٩٣	ضرورة الفن في تحيته
٩٣	البدر والربيع
٩٤	القوافي العصبية تسرع إلى مدحه
٩٤	الشاعر مندوب المحبين
٩٤	النبوغ في مصر
٩٥	الباب السمع للمروءة
٩٥	أنت ورد النبوغ
٩٥	الشاعر يعوّد الأباطين بالرقى
٩٦	وفاته

٩٧ الفصل الثالث عشر المهندس إبراهيم فهمي كريم

٩٧ وزير الأشغال الذي وقع اتفقيه مياه النيل في ١٩٢٩

٩٧	نهر النيل فوق النزاعات الحزبية
٩٨	مكانته العائلية بين وزراء الأشغال
٩٨	ذكره السياسي لا يأتي إلا مصحوبا بالانتقاد
٩٩	نشأته وتدرجه
٩٩	توليه الوزارة
٩٩	علاقته بصدقي باشا ورجال الملك
٩٩	حزب الشعب
١٠٠	دوره الكبير في جمعية المهندسين المصرية
١٠٠	تكريمه ووفاته

١٠١ الفصل الرابع عشر: عبد السلام الشاذلي باشا

١٠١ الذي شغلته الطبقية عن الوطنية

١٠١	مكانة أبنائه في عهد الثورة
١٠١	منحة البحيرة لتخليد ذكرى الشيخ محمد عبده
١٠٢	أوبرا دمنهور
١٠٢	عضوية الشيوخ
١٠٢	تصدي لحماية انتماء نادي الجزيرة للبريطانيين
١٠٣	تصوير مجلة الرسالة لحواره مع عبد الفتاح حسن باشا
١٠٣	مجلة الرسالة تضع عنوانا قاسيا لتعليقها على سلوكه السياسي
١٠٣	مارواه نجيب محفوظ عن صرامته مع الموظفين في وزارة الأوقاف
١٠٤	جهوده في وزارة الشؤون الاجتماعية
١٠٤	جهوده في معارضة الوفد
١٠٥	اشتراكه في توقيع عريضة المعارضة في أكتوبر ١٩٥١
١٠٥	فصل الدكتور عمر الشريف عنه

Prof. Mohamed El Gawady

ISIN : 0000 0001 2122 604X

**The Enlightened Civilized
Authority in Egypt
1924-1952**





يتأمل هذا الكتاب حضارة السلطة من خلال سيرة حياة أربع عشرة شخصية من الشخصيات السياسية في الحقبة الليبرالية (1919 - 1952) من الذين تولوا المسئوليات الكبيرة في هذه الحقبة وتميز أدوارهم في هذه المواقع المسنولة بالتوجه الحضاري المستهدف للارتقاء بأداء السلطة والحكومة من أجل خدمة الأمة والشعب، وذلك على الرغم من اختلاف نزعاتهم الفكرية والحزبية، واختلاف منابعهم العائلية والإقليمية، واختلاف ثقافتهم وتعليمهم وخبراتهم المهنية، لكن الحرص على الارتقاء الحضاري كان بمثابة عامل مشترك أو قاسم مشترك بينهم جميعا، وقد اخترناهم على هذا الأساس من بين مائتين من شخصيات تلك الحقبة التي تناولناها بالدراسة والتقييم في فصول منشورة ، وتراجم متباينة ، ومداخل موسوعية ، ودراسات مكتوبة، ومدارس للمذكرات ، و مناقشات للروايات

